AIN SHAMS UNIVERSITY

مركز بحوث الشرق الأوسط
MIDDLE EAST RESEARCH CENTER
MERC

مجلة
بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية مُحَكَّمَة
(مُعتمدة) شهريـًا

العدد الرابع والتسعون
(ديسمبر 2023)

يصدرها
مركز بحوث
الشرق الأوسط

السنة التاسعة والأربعون
تأسست عام 1974

الترقيم الدولي: (2536-9504)
الترقيم على الإنترنت: (2735-5233)

الأراء الواردة داخل المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها وليست مسئولية مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٢٤٣٣٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: (Issn :2536 - 9504)

الترقيم على الإنترنت: (Online Issn :2735 - 5233)

ISSN 2536-9504

مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية مُحكَّمة
متخصصة
في شؤون الشرق الأوسط

مجلة مُعتمَدة من بنك المعرفة المصري

موقع المجلة على بنك المعرفة المصري

www.mercj.journals.ekb.eg

- معتمدة من الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (ARCI) . المتوافقة مع قاعدة بيانات كلاريفيت Clarivate الفرنسية.
- معتمدة من مؤسسة أرسيف (ARCIf) للاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية ومعامل التأثير المتوافقة مع المعايير العالمية.
- تنشر الأعداد تباعًا على موقع دار المنظومة.

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العدد الرابع والتسعون - ديسمبر ٢٠٢٣

تصدر شهريًّا

السنة التاسعة والأربعون - تأسست عام 1974

المطبعة
مطبعة جامعة عين شمس
Ain Shams University Press

مجلة بحوث الشرق الأوسط
(مجلة مُعتمدة) دوريَّة علميَّة مُحكَّمَة
(اثنا عشر عددًا سنويًّا)
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية - جامعة عين شمس

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. غادة فاروق

نائب رئيس الجامعة لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

ورئيس مجلس إدارة المركز

رئيس التحرير **د. حاتم العبد**

مدير مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

هيئة التحرير

أ.د. السيد عبدالخالق، وزير التعليم العالي الأسبق، مصر

أ.د. أحمد بهاء الدين خيري، نائب وزير التعليم العالي الأسبق، مصر ؛

أ.د. محمد حسام لطفي، جامعة بني سويف، مصر ؛

أ.د. سعيد المصري، جامعة القاهرة، مصر ؛

أ.د. سوزان القليني، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. ماهر جميل أبوخوات، عميد كلية الحقوق، جامعة كفرالشيخ، مصر ؛

أ.د. أشرف مؤنس، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. حسام طنطاوي، عميد كلية الآثار، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. محمد إبراهيم الشافعي، وكيل كلية الحقوق، جامعة عين شمس، مصر

أ.د. تامر عبدالمنعم راضي، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. هاجر قلديش، جامعة قرطاج، تونس ؛

Prof. Petr MUZNY، جامعة جنيف، سويسرا ؛

Prof. Gabrielle KAUFMANN-KOHLER، جامعة جنيف، سويسرا ؛

Prof. Farah SAFI، جامعة كليرمون أوفيرني، فرنسا؛

إشراف إداري

أ/ سونيا عبد الحكيم

أمين المركز

إشراف فني

د/ امل حسن

رئيس وحدة التخطيط و المتابعة

سكرتارية التحرير

أ/ ناهد مبارز	رئيس قسم النشر
أ/ راندا نوار	قسم النشر
أ/ زينب أحمد	قسم النشر
أ/ شيماء بكر	قسم النشر

المحرر الفني

أ/ رشا عاطف رئيس وحدة الدعم الفني

تنفيذ الغلاف والتجهيز والإخراج الفني للمجلة

وحدة الدعم الفني

تدقيق ومراجعة لغوية

د. هند رأفت عبد الفتاح

تصميم الغلاف أ/ أحمد محسن - مطبعة الجامعة

توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: د. حاتم العبد، رئيس التحرير merc.director@asu.edu.eg

• وسائل التواصل: البريد الإلكتروني للمجلة: technical.supp.mercj2022@gmail.com

البريد الإلكتروني لوحدة النشر: merc.pub@asu.edu.eg

جامعة عين شمس- شارع الخليفة المأمون- العباسية- القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص.ب: 11566

(وحدة النشر - وحدة الدعم الفني) موبايل/ واتساب: 01555343797 (2+)

ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: www.mercj.journals.ekb.eg

ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر

الرؤيـــة

السعي لتحقيق الريادة في النشر العلمي المتميز في المحتوى والمضمون والتأثير والمرجعية في مجالات منطقة الشرق الأوسط وأقطاره .

الرسالـــة

نشر البحوث العلمية الأصيلة والرصينة والمبتكرة في مجالات الشرق الأوسط وأقطاره في مجالات اختصاص المجلة وفق المعايير والقواعد المهنية العالمية المعمول بها في المجلات المُحَكَّمَة دوليًّا.

الأهـــداف

- نشر البحوث العلمية الأصيلة والرصينة والمبتكرة .
- إتاحة المجال أمام العلماء والباحثين في مجالات اختصاص المجلة في التاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون وعلم النفس واللغة العربية وآدابها واللغة الانجليزية وآدابها ، على المستوى المحلى والإقليمي والعالمي لنشر بحوثهم وإنتاجهم العلمي .
- نشر أبحاث كبار الأساتذة وأبحاث الترقية للسادة الأساتذة المساعدين والسادة المدرسين بمختلف الجامعات المصرية والعربية والأجنبية ٠
- تشجيع ونشر مختلف البحوث المتعلقة بالدراسات المستقبلية والشرق الأوسط وأقطاره ٠
- الإسهام في تنمية مجتمع المعرفة في مجالات اختصاص المجلة من خلال نشر البحوث العلمية الرصينة والمتميزة .

مجلة بحوث الشرق الأوسط

- رئيس التحرير د. حاتم العبد

- الهيئة الاستشارية المصرية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا — رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية - مصر
- أ.د. أحمد الشربيني — عميد كلية الآداب السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أحمد رجب محمد علي رزق — عميد كلية الآثار - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. السيد فليفل — عميد كلية الدراسات الأفريقية العليا الأسبق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. إيمان محمد عبد المنعم عامر — أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أيمن فؤاد سيد — رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مصر
- أ.د. جمال شفيق أحمد عامر — كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حمدي عبد الرحمن — عميد كلية الحقوق الأسبق - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حنان كامل متولي — (قائم بعمل) عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. صالح حسن المسلوت — أستاذ التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية - فرع الزقازيق جامعة الأزهر – مصر وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة
- أ.د. عادل عبد الحافظ عثمان حمزة — كلية الآداب - جامعة المنيا، ومقرر لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر
- أ.د. عاصم الدسوقي — عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة حلوان - مصر
- أ.د. عبد الحميد شلبي — كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د. عفاف سيد صبره — كلية الدراسات الإنسانية بنات بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د.عفيفي محمود إبراهيم — كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
- أ.د. فتحي الشرقاوي — نائب رئيس جامعة عين شمس الأسبق - مصر
- أ.د. محمد الخزامي محمد عزيز — عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الجلالة - مصر
- أ.د. محمد السعيد أحمد — كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- لواء/ محمد عبد المقصود — رئيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء - مصر
- أ.د. محمد مؤنس عوض — كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر — كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان قطاع الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للجامعات ورئيس لجنة ترقية الأساتذة
- أ.د. مصطفى محمد البغدادي — كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. نبيل السيد الطوخي — رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر
- أ.د. نهى عثمان عبد اللطيف عزمي — كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات - مصر

- الهيئة الاستشارية العربية والدولية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم خليل العَلاّف — جامعة الموصل- العراق
- أ.د. إبراهيم محمد بن حمد المزيني — كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية
- أ.د. أحمد الحسو — جامعة مؤتة- الأردن
  مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية - إنجلترا
- أ.د. أحمد عمر الزيلعي — جامعة الملك سعود- السعودية
  الأمين العام لجمعية التاريخ والآثار التاريخية
- أ.د. عبد الله حميد العتابي — كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - العراق
- أ.د. عبد الله سعيد الغامدي — جامعة أم القرى - السعودية
  عضو مجلس كلية التاريخ، ومركز تحقيق التراث بمعهد المخطوطات
- أ.د. فيصل عبد الله الكندري — جامعة الكويت- الكويت
- أ.د. مجدي فارح — رئيس قسم الماجستير والدراسات العليا - جامعة تونس١ - تونس
- أ.د. محمد بهجت قبيسي — جامعة حلب- سوريا
- أ.د. محمود صالح الكروي — كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد- العراق

- *Prof. Dr. Albrecht Fuess* — Center for near and Middle Eastem Studies, University of Marburg, Germany
- *Prof. Dr. Andrew J. Smyth* — Southern Connecticut State University, USA
- *Prof. Dr. Graham Loud* — University Of Leeds, UK
- *Prof. Dr. Jeanne Dubino* — Appalachian State University, North Carolina, USA
- *Prof. Dr. Thomas Asbridge* — Queen Mary University of London, UK
- *Prof. Ulrike Freitag* — Institute of Islamic Studies, Belil Frie University, Germany

شروط النشر بالمجلة

- تُعنى المجلة بنشر البحوث المهتمة بمجالات العلوم الإنسانية والأدبية ؛
- يعتمد النشر على رأي اثنين من المحكمين المتخصصين ويتم التحكيم إلكترونيًّا ؛
- تقبل البحوث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، **وترسل إلى موقع المجلة على بنك المعرفة المصري ويرفق مع البحث ملف بيانات الباحث يحتوي على عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية واسم الباحث والتايتل والانتماء المؤسسي باللغتين العربية والإنجليزية، ورقم واتساب، وإيميل الباحث الذي تم التسجيل به على موقع المجلة ؛**
- يشار إلى أن **الهوامش والمراجع في نهاية البحث وليست أسفل الصفحة ؛**
- يكتب الباحث **ملخص باللغة العربية واللغة الإنجليزية** للبحث **صفحة واحدة فقط** لكل ملخص ؛
- بالنسبة للبحث باللغة العربية يكتب على برنامج "**word**" ونمط الخط باللغة العربية **"Simplified Arabic"** وحجم الخط **14** ولا يزيد عدد الأسطر في الصفحة الواحدة عن **25** سطر والهوامش والمراجع خط **Simplified Arabic** حجم الخط 12 ؛
- بالنسبة للبحث باللغة الإنجليزية يكتب على برنامج **word** ونمط الخط **Times New Roman** وحجم الخط **13** ولا يزيد عدد الأسطر عن 25 سطر في الصفحة الواحدة والهوامش والمراجع خط **Times New Roman** حجم الخط 11 ؛
- (**Paper**) مقاس الورق (**B5**) 17.6 × 25 سم، (Margins) الهوامش **2.3 سم** يمينًا ويسارًا، **2 سم** أعلى وأسفل الصفحة، ليصبح مقاس البحث فعلي **(الكلام)** 13×21 سم. (Layout) والنسق: (Header) الرأس 1.25 سم، (Footer) تذييل 2.5 سم ؛
- **مواصفات الفقرة للبحث :** بداية الفقرة First Line = 1.27سم، قبل النص= 0.00، بعد النص = 0.00)، تباعد قبل الفقرة = (6pt) تباعد بعد الفقرة = (0pt)، تباعد الفقرات (مفرد single) ؛
- **مواصفات الفقرة للهوامش والمراجع :** يوضع الرقم بين قوسين هلالي مثل : (1)، بداية الفقرة Hanging = 0.6 سم، قبل النص=0.00، بعد النص = 0.00)، تباعد قبل الفقرة = 0.00 تباعد بعد الفقرة = 0.00، تباعد الفقرات (مفرد single) ؛
- **الجداول والأشكال:** يتم وضع الجداول والأشكال إما في صفحات منفصلة أو وسط النص وفقًا لرؤية الباحث، على أن يكون عرض الجدول أو الشكل لا يزيد عن 13.5 سم بأي حال من الأحوال ؛
- يتم التحقق من صحة الإملاء **على مسئولية الباحث** لتفادي الأخطاء في المصطلحات الفنية ؛
- مدة التحكيم 15 يوم على الأكثر، مدة تعديل البحث بعد التحكيم 15 يوم على الأكثر ؛
- يخضع تسلسل نشر البحوث في أعداد المجلة حسب ما تراه هيئة التحرير من ضرورات علمية وفنية ؛
- المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر ؛
- تعبر البحوث عن آراء أصحابها وليس عن رأي رئيس التحرير وهيئة التحرير ؛
- **رسوم التحكيم للمصريين 650 جنيه، ولغير المصريين 155 دولار ؛**
- **رسوم النشر للصفحة الواحدة للمصريين 25 جنيه، وغير المصريين 12 دولار ؛**
- الباحث المصري يسدد الرسوم بالجنيه المصري (بالفيزا) بمقر المركز (المقيم بالقاهرة)، أو على حساب حكومي رقم : **(9/450/80772/8) بنك مصر** (المقيم خارج القاهرة) ؛
- الباحث غير المصري يسدد الرسوم بالدولار على حساب حكومي رقم : **(EG710001000100000004082175917) (البنك العربي الأفريقي)** ؛
- **استلام إفادة قبول نشر البحث في خلال 15 يوم من تاريخ سداد رسوم النشر مع ضرورة رفع إيصالات السداد على موقع المجلة ؛**
- **المراسلات :** توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: merc.director@asu.edu.eg

السيد الدكتور/ مدير مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية، ورئيس تحرير المجلة
جامعة عين شمس– العباسية– القاهرة – ج. م.ع (ص. ب 11566)
للتواصل والاستفسار عن كل ما يخص الموقع : محمول / واتساب: **01555343797 (2+)**
(وحدة النشر merc.pub@asu.edu.eg) (وحدة الدعم الفني technical.supp.mercj2022@gmail.com)

- ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: **www.mercj.journals.ekb.eg**

ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر.

محتويات العدد 94

عنوان البحث الصفحة

- **الدراسات القانونية LEGAL STUDIES**

1. **ضوابط اختصاص المحكمة الدستورية العليا المصرية بمنازعة التنفيذ 3-36**
محمد أحمد المهدي محمد المهدي

- **الدراسات التاريخية HISTORICAL STUDIES**

2. **موقف الهند من الحرب الروسية الأوكرانية 2022..... 39-74**
ليث عصام مجيد العبيدي

3. **الإفراج عن أموال المصريين المجمدة في بلجيكا (1947-1952) 75-122**
أحمد عبدالقادر محمد عبدالقادر

- **الدراسات الاجتماعية SOCIAL STUDIES**

4. **الاحتياجات الاجتماعية والنفسية للاطفال الذاتويين واسرهم..... 125-156**
مروة نادي سيد قاسم

- **دراسات اللغة العربية ARABIC LANGUAGE STUDIES**

5. **التناصّ بين النقد الغربيّ وإشكاليّة التلقّي 159-210**
فيصل عبد المهدي سعود شهاب

6. **شخصية الطفل والأنساق الثقافية في قصص يوسف إدريس 211-260**
هبة محمد عبدالفتاح

- **دراسات إدارة أعمال BUSINESS ADMINISTRATION STUDIES**

7. **نموذج مقترح لعلاقة إدارة التميز بالأداء التنظيمي – دراسة ميدانية 263-346**
محمد سعد محمد محمود

- **الدراسات الإعلامية** **MEDIA STUDIES**

8. **أطر التغطية الصحفية للاعبي كرة القدم المصريين المحترفين بالخارج في المواقع الإلكترونية الرياضية .....** **388-349**
نسمة محمد كُريم

- **الدراسات اللغوية** **LINGUISTIC STUDIES**

9. **A Critical Discourse Analysis of Linguistic Features and Ideology Covered behind Jordan Times Newspapers' Media Reports during COVID-19 Pandemic in Jordan** **25-3**
عيسى حمد احمد الخطبا

افتتاحية العدد 94

يسر مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية صدور العدد **(94 – ديسمبر 2023)** من مجلة المركز « **مجلة بحوث الشرق الأوسط** ». هذه المجلة العريقة التي مر على صدورها حوالي 49 عامًا في خدمة البحث العلمي، ويصدر هذا العدد وهو يحمل بين دافتيه عدة دراسات متخصصة: (دراسات قانونية، دراسات تاريخية، دراسات اجتماعية، دراسات لغة عربية، دراسات إدارة أعمال ، دراسات إعلامية ، دراسات لغوية) ويعد البحث العلمي **Scientific Research** حجر الزاوية والركيزة الأساسية في الارتقاء بالمجتمعات لكي تكون في مصاف الدول المتقدمة.

ولذا تَعتَبر الجامعات أن البحث العلمي من أهم أولوياتها لكي تقود مسيرة التطوير والتحديث عن طريق البحث العلمي في المجالات كافة.

ولذا تهدف مجلة بحوث الشرق الأوسط إلى نشر البحوث العلمية الرصينة والمبتكرة في مختلف مجالات الآداب والعلوم الإنسانية واللغات التي تخدم المعرفة الإنسانية.

والمجلة تطبق معايير النشر العلمي المعتمدة من بنك المعرفة المصري وأكاديمية البحث العلمي، مما جعل الباحثين يتسابقون من كافة الجامعات المصرية ومن الجامعات العربية للنشر في المجلة.

وتحرص المجلة على انتقاء الأبحاث العلمية الجادة والرصينة والمبتكرة للنشر في المجلة كإضافة للمكتبة العلمية وتكون دائمًا في مقدمة المجلات العلمية المماثلة. ولذا نعد بالاستمرارية من أجل مزيد من الإبداع والتميز العلمي.

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

د. حاتم العبد

دراسات اللغة العربية

ARABIC LANGUAGE STUDIES

التناصّ بين النقد الغربيّ وإشكاليّة التلقّي

Intertextuality between Western criticism and the problem of reception

فيصل عبد المهدي سعود شهاب

كلّيّة الآداب-- قسم اللغة العربيّة

جامعة عين شمس

Faisal Abdul Mahdi Saud Shehab

PHD Degree - The Department Of Arabic language

College Of Literature- Ain-Shams University

faisalshehab@hotmail.com

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخّص

اهتمّ البحث بدراسة التناصّ بين النقد الغربيّ وإشكاليّة التلقّي، على الرغم من تعدّد الدراسات حول نظريّة التناصّ؛ وذلك لعدم توافر رؤيةٍ واضحةٍ حول النظريّة يمكن الالتفاف حولها، ولميل كثيرٍ من الدراسات للأخذ من بعضها دون الرجوع إلى النظريّة في مصادرها الأصلية، فأصبحت تكرارًا غير منتج، وزاد من الإشكاليّة تطبيق النظريّة على عددٍ كبيرٍ من الأعمال الأدبيّة عمومًا، والشعريّة خصوصًا، قبل استقرار النظريّة، وفي خصوص التلقّي برزت إشكاليّة أخرى، لم تلقَ من العناية ما تستحق، وأصبحت عرفًا بين السواد الأعظم من الدراسات؛ تمثّلت في السعي لاستحضار نماذج من التراث النقدي العربي، لجعلها موازيًا لنظريّة التناصّ الغربيّة، وغلب عليها الجنوح نحو جعل السرقات الشعريّة موازيًا للتناص.

وقد كشفت نتائج الدراسة عن دائرةٍ مفاهيميّةٍ تشكّلت في إطار نظريّة التناصّ، وتوصّلت إلى أنّ نظريّة التناصّ نشأت في ظروفٍ خاصّةٍ، ونتجت عن روافد معرفيّةٍ تختلف عن العوامل التي برز فيها مفهوم السرقات الشعريّة، وهو ما يجعل من غير الدقيق جعل السرقات الشعريّة معادلاً لنظريّة التناصّ الغربيّة، وانتهت الدراسة بمجموعةٍ من التوصيات المقترحة؛ بهدف توفير رؤيةٍ أوضح تعين على فهم النظريّة وجعلها أكثر استقرارًا، وأخذ النقد العربيّ نحو الإفادة من النظريات النقديّة الغربيّة، بعيدًا عن الافتتان بها دونما مبرر، أو الإشاحة عنها عن تعصّب؛ وبما يؤهّل إلى فتح آفاقٍ أرحب أمام النظريّة النقديّة العربيّة.

الكلمات المفتاحيّة: التناصّ / النقد / النقد الغربي / إشكاليّة / التلقّي.

Abstract:

This research focused on intertextuality between western criticism and the reception problem. Despite the fact the numerous studies were conducted on the theory of intertextuality due to the lack of a clear vision about the theory itself that can be circumvented. Moreover, most of those studies had the tendency to depend on each other's references without referring to the original theory and its original resources. Therefore, most of those studies became repetitively unproductive. The application of this theory to a large number of literary works in general, and poetic work in particular increased the problem before stabilizing the theory. Alternatively, regarding the reception, another problem arose, which did not receive the attention it deserves. Thus, becoming a norm among the vast majority of those studies represented in seeking to evoke models form the Arabic criticism heritage and presenting them as a parallel model to the western theory of intertextuality. Which was dominated by the tendency to making poetic thefts an equivalence to intertextuality.

The results of the study revealed a conceptual circle formed within the framework of the intertextuality theory. Concluding that the intertextuality theory arose in special circumstances and resulted from tributaries of knowledge that differed from the factors in which the concept of poetic thefts emerged. Resulting in making it inaccurate to consider poetic thefts equivalent to the western theory of intertextuality. This study ended with a set of suggested recommendations; With the aim of providing a clearer vision that helps to understand the theory and make it more stable and directing Arabic criticism towards benefiting from western criticism theories, away from un unjustifiable infatuation or disavowing them out of prejudice, which might result in opening up wider horizons in front of the Arabic Criticism Theory.

Keywords: intertextuality / criticism / western criticism / problematic / reception.

مقدمة

يتناول البحث نظريّة التناصّ؛ تحت عنوان (التناصّ بين النقد الغربي وإشكاليّة التلقي)، وتعد نظريّة التناصّ من أبرز النظريّات النقديّة في الوقت الراهن، وبالوقوف على تاريخ النقد الغربي، نجد أن النظريّة النقديّة الغربيّة، انفتحت بعد عصر الأنوار الأوروبي والتلاقح الغربي الروسي، انفتاحًا شديدًا على الفلسفة والعلوم، إلى حدٍّ تلاشت معه الحدود، حتى وصف جوناثان كالر النظريّة النقديّة الأدبيّة في ستينيّات القرن العشرين –وهي الفترة التي برزت فيها نظريّة التناصّ لأوّل مرّة– بحالةٍ من الذهول؛ فلم تعد النظريّة النقديّة مجموعة مناهج خاصّة بالدراسة الأدبيّة، بل كتابات مفتوحة لكلِّ شيءٍ تحت الشمس، من الأنثروبولوجيا وتاريخ الفن والسينما واللسانيّات والفلسفة والسياسة والتحليل النفسيّ، والدراسات العلميّة والفكر وعلم الاجتماع، وأضحت مجموعة ممارسات في التفكير والكتابة يصعب وصفها، وتجاوزت فاعليتها مجالها الأصلي[1]، وأكّد كثير من الدارسين علاقة النظريّة النقديّة بالعلوم؛ لما يرونه من دورٍ للعلوم في اكتشاف الخطاب[2].

وقد ظهر أثر ذلك، بدايةً، بتحييد سلطة المناهج النقديّة السياقيّة عن مشهد النقد الأدبيّ، وتبدّل النظرة إلى الشعريّة وجماليّات الأدب، ولاسيما منذ مدرسة جنيف ولسانيّات سوسير؛ وما تبع ذلك من التحوُّل في البنيويّة عن المؤلف إلى النص، ثم أعقب ذلك تحوّل النظريّة النقديّة عن النصّ إلى القارئ، لتكون له إنتاجيّة النصّ، وهو السياق الذي نشأت فيه نظريّة التناصّ.

وقد تتبّعت الدراسة نظريّة التناصّ، من خلال مراحل ثلاث، رأت أنّ النظريّة تَشكَّلت خلالها، وكوّنت هذه المراحل الثلاث مجتمعةً مسار النظريّة؛ الذي تبوّأت به موقعها في الحركة النقديّة والثقافيّة الحديثة والمعاصرة، وتلك المراحل هي: مرحلة النشوء، على يد الباحثة، بلغاريّة الأصل فرنسيّة الجنسيّة،جوليا كريستيفا، حيث

استندت إلى روافد معرفيّةٍ استقت منها المفهوم وأطّرت النظريّة من خلالها، ثمّ تأتي مرحلة التنازع، فالاعتمادية والتوسّع، وذلك على يد النقاد الغربيين، من خلال مقارباتهم لنظريّة التناصّ في مباحثهم ومصنّفاتهم، وأخيرًا المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الانتشار والعالميّة، وفي هذه المرحلة وقفنا على التلقّي العربي أنموذجًا، فبدأت الدراسة بتناول النقد القديم والسرقات الشعريّة على نحو خاصٍّ، ثم تناولنا تلقّي الوسط النقدي العربي الحديث والمعاصر للنظريّة، وقد كان لكلِّ مرحلةٍ خصائصها، على أنّنا نلفت إلى أنّ هذا التحديد النظريّ لا يعني بترًا قاطعًا، بقدر ما هو إطارٌ؛ يمكن به التمييز بين ما صارت إليه حقيقة التناصّ وبلغته في كلِّ مرحلةٍ من بين هذه المراحل الثلاث، بما يعين على التفريق بين كلِّ واحدةٍ وما عداها، عبر تناول نتاج المشتغلين بالنظريّة من النقّاد والباحثين، داخل كلِّ مرحلةٍ.

كما تناولت الدراسة علاقة النظريّة النقديّة الغربيّة منذ عصر الأنوار، بتلك المناهج العقليّة الفلسفيّة، والثقافة المادّيّة المحضة لذلك العصر، الذي لم يعد المنهج فيه مجرد قواعد وأدوات، بل أصبح انعكاسًا لأبعادٍ معرفيّةٍ، يقدّم من خلالها رؤيته الخاصّة للكون والمجتمع والفرد والتاريخ والحياة، وهو ما جعل من نظريّة (التناصّ) إحدى المسائل النقديّة البارزة، التي استسقت الثقافة المادّيّة العقليّة، واستلهمت نتاجاتها.

أوّلاً: المشكلة: أسئلة الدراسة

1- تناقش الدراسة ظاهرة التناصّ، وتدرس بعمقٍ امتداداتها المعرفيّة والفلسفيّة، وهو ما يأخذنا، والحال هذه، إلى أن نتساءل: ما التناصّ؟، وكيف نشأ؟، وما مرجعياته وروافده المعرفيّة؟ وما أبرز أسسه والمفاهيم التي تدور في فلكه؟.

2- بالتنبّه إلى ما أثاره مفهوم (التناصّ) في النقد الغربي على مدى نحو ستّة عقودٍ، من سجالٍ مستفيضٍ، حتّى عُدّ مبعثًا للاضطراب في كلّ الاتجاهات النقديّة والفكرية والثقافيّة، تتساءل الدراسة عن موقعه بين أدوات النقد، وإلى أيّ مدى كان للتلقّي الغربي لنظريّة التناصّ الأولى التي أطلقتها كريستيفا، من ارتداداتٍ على تلك الأدوات؟ وإلى أيّ مدى حافظت نظريّتها، في حدود التلقي الغربي، على أطرها؛ وتحديدها للمفهوم، والتفريع عليه، وآليّات تطبيقه، بمنأى عن التغيير والتحوير؟، وما أثر ذلك كلّه على النقديّة الغربية وأطرها العامّة؟.

3- كما تقف الدراسة، في خصوص إشكالية التلقي، على الصور التي جاء عليها التلقّي العربيّ لنظريّة التناصّ، ولمّا كان الرجوع للتراث النقديّ العربيّ عمومًا، ومسألة (السرقات الشعريّة) منه خاصّةً، قد شغل مساحة كبيرة من مجمل مقاربات النقّاد والدارسين العرب المعاصرين، بعد أن حطّت نظريّة التناصّ لدينا، صار من غير الدقيق مقاربة التلقّي العربيّ للنظريّة، دون الوقوف، أوّلاً، على نقدنا القديم، و(السرقات الشعريّة) منه خاصّةً، بما يؤهل الدراسة لتناول المقاربة العربية للنظريّة، وفي سبيل ذلك وضعت الدراسة هذه التساؤلات:

- هل كانت مسألة العلاقة بين النصوص ظاهرةً ضمن الظواهر؛ التي حفل بها الفكر النقديّ العربيّ القديم؟، وإذا كان الأمر كذلك، فما أبرز الدوائر المفاهيميّة التي رسمها نقّادنا القدامى، التي يمكننا استخلاصها من مصنّفاتهم التي وصلت إلينا، في هذا الباب؟.

- إلى أيّ مدى كان نقدنا القديم واعيًا بفحوى ما اصطُلِحَ عليه بالتناصّ في الظاهرة النقديّة المعاصرة؟، وهل يمكن القول إنّ ما توافر عليه نقدنا القديم، من فهمٍ للعلاقة بين النصوص، يوازي مفهوم التناصّ؟ أيمكننا عدّ المفهوم العربيّ (السرقات الشعريّة) نسخةً متقدّمةً زمانيًّا على المفهوم الغربيّ الحداثي (التناصّ)؟ وأنّ كل ما قدّمه المفهوم

الغربيّ هو بعث الحياة في المفهوم العربيّ من جديد؟، أم إنّ التناصّ نظريّةٌ نتجت عن أطرٍ ثقافيّة وأبعادٍ فكريّةٍ وفلسفيّةٍ بعيدةٍ كلَّ البعد عن الأطر والأبعاد الفكريّة التي أنتجت مفهوم السرقات؟.

– وإذا فرضنا ذلك جدلاً، فهل تجاوز وعي نقدنا القديم لمسألة (التعالق النصّيّ) حدود الجانب الانطباعي الذاتي، وامتدّ إلى الجانب التطبيقيّ الإجرائيّ؟ وما طبيعة الأدوات وكيفيّات المقاربة التي اعتمدها نقّادنا؛ لوصف تلك العلاقات، إن وجدت؟.

– ما النتائج والانعكاسات التي كانت لمفهوم (السرقات الشعريّة)، سواء على مستوى البيئة الحاضنة، التي يمثّل النقّاد والشعراء العرب أبرز أركانها، أم على مستوى النظرة للنتاج الشعريّ العربي، ضمن النتاج العالمي العام؟.

4– ما الصور التي جاء عليها التلقّي العربي لنظريّة التناصّ؟، وما أبرز إشكاليّات هذا التلقّي؟، وإلى أي مدى ثم التفاعل النظريّ والتطبيقيّ معها؟، وما انعكاسات ذلك وأثره على مجمل الحركة النقديّة العربيّة؟.

الدراسات السابقة

جاءت أهمّ الدراسات السابقة، التي وقف الباحث عليها، على محورين؛ هما:

أ– الدراسات الأولى، الممتدّة لعقدٍ من الزمن؛ منذ ظهور النظريّة في النقد العربيّ، وقادها محمّد بنيس في دراسته (ظاهرة الشعر العربيّ المعاصر في المغرب: مقاربة بنيويّة تكوينيّة)، ومحمد مفتاح في (تحليل الخطاب الشعريّ: استراتيجيّة التناصّ)، وصبري حافظ في (التناصّ وإشاريّات العمل الأدبي)، وسعيد يقطين في (انفتاح النص الروائي)، وتميّزت الدراستان الأوليان منها بمحاولة التطبيق على التناص، إلى جانب الطرح النظريّ، وغلب على هذه الدراسات التوافق مع النظرية واجترار جانب من دائرتها المفاهيمية إلى النقد العربي، لكنّها لم تقدم رؤيةً أو تساؤلاتٍ واضحةً حول ما

يفيده درسنا النقديّ منها، ونتج هذا عن أنّها لم تهدف أساسًا لشرح النظرية وتقديمها كما هي، وإن نقلت إطارها العامّ، ذلك الإطار الذي اتّكأت عليه كثير من الدراسات اللاحقة، ومثّل جزءًا من إشكاليّة التلقّي.

ب- الدراسات اللاحقة، حيث تعدّدت الدراسات بعد ذلك، كدراسة يوسف عوض في كتابه (نظريّة النقد الأدبيّ الحديث)، وعبد الملك مرتاض في (نظريّة النصّ الأدبي)، وعبد العزيز حمودة في (المرايا المقعّرة)، وعيسى الحوقانيّ في (التناصّ في شعر نزار قبّاني)، وقد غلب عليها عنايتها بمقاربة النظريّة، في إطارٍ من الانشداد إلى النقد العربيّ القديم، واستحضاره؛ لإيجاد معادلٍ للنظريّة؛ فرأى عوض أنّ ابن سلام كان يدرك جوهر فكرة التناص[3]!، في حين وجد مرتاض وحمودة والحوقاني في السرقات الشعريّة ودائرتها المفاهيمية موازيًا للنظرية[4]!، دون تقديم ما يمكن به إثبات ذلك، وهذه المقاربات لم تقدّم لدرسنا النقديّ المعاصر ما يعين على تدشين نظريةٍ نقديّةٍ عربيّةٍ؛ تستنطق التراث بما ينبغي، وتفيد من النظريّات الحديثة، كما ظهر على بعضها عدم الوقوف على النظريّة وفهمها من مصادرها.

أهمّيّة الدراسة

من هنا تبرز أهميّة هده الدراسة للدرس النقدي؛ عبر ما حمل الباحث نفسه عليه من الوقوف على نظريّة التناصّ من مصادرها، والعناية بشرحها كما هي، ولاسيما كتاب (علم النصّ) لكريستيفا، إلى جانب وقوف هذه الدراسة على مراحل تشكّل نظرية التناصّ في النقديّة الغربيّة، وما أضافته كل مرحلةٍ من مفاهيم وتفريعاتٍ عليها، وهو ما لم تضطلع بتقديمه الدراسات السابقة، وبهذا تقدّم الدراسة للدرس النقدي المعاصر ما يمكن الاتكاء عليه في فهم النظريّة، وتبيّن مسار تطورها، ليستقيم للباحثين أمر مقاربتها والمجادلة عنها أو نقدها، مستندين لفهمها ووعيها بحقٍّ؛ بدل اعتماد العموميات حولها، وذلك يبعث على تحقيق النزاهة والموضوعيّة، والدراسة بذلك تقدّم،

من جانبٍ آخر، أنموذجًا لما ينبغي أن تأتي عليه مقارباتنا للنقد الغربي ونظريّاته، كما تَبرز أهميّة الدراسة في وقوفها، من جانبٍ آخر، على المفاهيمية النقدية القديمة لتراثنا النقدي؛ المتصلة منها بالتعالق النصّيّ، وآراء نقّادنا القدامى حولها، لتجعل من ذلك تكأةً؛ تقارب من خلالها وتنقد بها مختلف الآراء التي ربطت النظرية بالمفاهيمية النقدية العربية القديمة، ولتبيّن حدود التلاقي والمفارقة.

منهج الدراسة

في ضوء ما تقدّم، فإنّ الباحث يأخذ في دراسته هذه بمنهج نقد النقد، مع ما يحتاجه هذا المنهج من دقّة مراجعة القول النقدي والحاجة لفحص مرجعيّاته، ولأنّ الدراسة تتناول الظاهرة النقديّة والأفكار العامّة حولها، كما تتناول جملةً من الاقتباسات والاستشهادات، وتستحضر نصوصًا بعينها؛ لمقاربتها، فإنّ هذا يعني عدم الانفكاك عن الحاجة أيضًا للنقد التنظيريّ والتطبيقي داخل الدراسة.

ثانيًا: المشهد النقديّ العامّ لنشوء المصطلح والنظريّة

شهد القرن التاسع عشر تسارعًا، نحو إيجاد نظريّة نقديّة عميقةٍ شاملةٍ؛ ومع توالي العقود زادت وتيرة التسارع، حتى إذا جئنا العشرية السادسة من القرن العشرين، التي شهدت بروز نظريّة التناصّ، وجدناها تمثّل محطةً فاصلةً في النقديّة الغربيّة؛ وذلك لأسبابٍ، من أبرزها:

_ ظهور أهمّيّة أفكار عصر الأنوار وما تلاه ومعارفه، التي تجمّعت على يد الفلاسفة والنقّاد والمنظرين، بما يؤثر في الظاهرة النقديّة الغربيّة.

– بلوغ الحالة النقديّة الغربيّة مدىً بعيدًا من الانفتاح على النظريّة، إلى حدٍّ أمكن معه "اعتبار الفترة ما بين ستّينيّات القرن العشرين حتى الآن عصر النظريّة، مع الأخذ في الاعتبار كذلك بالتطورات السابقة التي تتّصل بها"[(5)].

– ما توافر عليه النتاج النقديّ، حينئذٍ، من آراء عميقةٍ، وإن تعدّدت التيارات، مع الأمل في لمّ الشتات للنهوض بنظريّة نقديّة متكاملةٍ.

أ– تيل كيل Tel Quel: خلخلة "المغزى المستقر"

بعد أنْ تضاءلت الآمال المعقودة على البنيوية في فرنسا والغرب عمومًا، نشأت تحرّكات نقديّة في فرنسا، من أبرزها (جماعة كيل تيل)؛ التي ضمّت فلاسفةً ونقّادًا، كرولان بارت وفوكو وبيار بولز ودريدا وكريستيفا وتودوروف وجينيت وإيكو، واضطلعت الجماعة بتقديم تقييمٍ شاملٍ لمجمل الحركة النقديّة لما بعد البنيويّة؛ ودعت لخلخلة (المغزى المستقر) للنصّ؛ وتجاوز كلِّ ما هو شكليّ، استنادًا لما استجدّ من نظرياتٍ لسانيّةٍ وفلسفيّةٍ واجتماعيّةٍ؛ ولذلك يصعب الحديث عن الأطر النظريّة للتناصّ بمعزلٍ عن النتاج التنظيري للجماعة، فقد كان مفهوم (التناصّ) أحد المفاهيم البارزة الكبرى التي ناقشته، لتوافقه مع ما ينادون به من مفاهيم خرجوا بها في وجه النص المغلق.

ب– كريستيفا وسبك المصطلح: من النصّ إلى التناصّ

مصطلح (التناصّ) ترجمةٌ لمصطلحٍ فرنسيٍّ هو (Intertextualité)، تُرجم للغة الإنجليزيّة بِمصطلح (Intertextuality)، وشهد أوّل ظهور له على يد الفيلسوفة والناقدة الفرنسيّة جوليا كريستيفا، في محاولاتها المكتوبة بين عامي 1966–1976، في مجلة تيل كل Tel Quel ومجلة Critique[6]، وأذاعته مع جماعة Tel Quel؛ عبر مؤلَّفٍ جماعي أوّلاً، هو كتاب نظريّة الجماعة (Théorie d'Ensemble) عام 1968، شاركها فيه بعض أعضاء الجماعة، ثم توسّعت في بيانه، في مؤلَّفها الخاصّ: سيميوطيقا: أبحاث من أجل تحليلٍ دلائلي (Séméiôtikè, Recherches pour une symanalyse)، نُشر عام 1969.

وكانت كريستيفا "واحدة من أكثر المساهمين إثارةً في المجلة (مجلة كيل تيل)"[7]، وقد راق مفهوم التناصّ لأعضاء الجماعة، منذ بداية طرحه؛ فتناولوه، وإنْ دون إشارةٍ إلى المصطلح في البداية، ففي كتاب الجماعة، مثلاً، نقف على رؤية فيليب سولرس حول التناصّ؛ في قوله: "يقع أيّ نصٍ في نقطة التقاء عددٍ من النصوص، الذي هو في الوقت نفسه إعادة قراءةٍ (لها) وتثبيت (لها) وتكثيف (لها) وانتقال (منها) وتعميق لها"[8]، وفي مجلة تيل كيل يقدّم جان جوزيف غو رؤيته للتناصّ، ويقول في سياقها: "إنّ الإنتاج التناصّي يشكّك بمفهومٍ ساذجٍ آخر، هو مفهوم المرجع: لا ترتبط الكتابة (الكلام) بمرجعٍ ولكنْ بكتابةٍ أخرى، كتابة العلامات الاجتماعيّة الكلّيّة"[9]. وهكذا أخذ مصطلح (التناصّ) في الرواج تدريجيًّا، حتّى صار، على حد رأي مارك أنجينو، "مثله مثل (بنية) و(بنائي) و(بنيويّة) هو بالقدر نفسه أداة معرفية وراية، ورواق تأصيليّ يدلّ على موقفٍ، وعلى حقلٍ مرجعيٍّ وعلى اختيار بعض المراهنات"[10].

ج- هل التناصّ نظريّة؟

لم تُخفِ كريستيفا سعيها لبلورة الدلالة وإنتاج نظريّةٍ للمعرفة، عبر ما أسمته التداخل السيميائي، موضِّحةً أن للسيمياء موضوعًا خاصًّا هو صيغ الدلالة وقوانينها، التي أسندت تشكُّلها إلى ثنائيتي (الفكر والمجتمع)، فالدلالة بذلك تتفاعل مع علومٍ أخرى؛ لأنّها جزءٌ لا ينفصل عن محفل تلك العلوم، وخلصت إلى أنّ السيميائيّات/التحليل الدلاليّ جزءٌ من منهجٍ فلسفيٍّ، وأنّ المجال السيميائيّ يميّز بين الفلسفة والعلم، وأنّ التفاعل بين العلم والفلسفة داخل (التحليل الدلاليّ) يعين على "التشكُّل المهشَّم والمتراتب والتمايزي لمعرفةٍ مادّيّةٍ، أي لنظريّةٍ علميّةٍ للأنساق الدالّة في التاريخ وللتاريخ كنسقٍ دالٍّ"[11].

وقد كانت الإفادة من العلوم، من خارج دائرة الأدب، مكشوفةً في منهجيّة كريستيفا، إنْ في مقاربة النص أم التناصّ، ورأت أنّه ليس بالمعقول أن تنكمش دراسة النصَّ على نفسها [12]، ولهذا رأينا كيف أنّ إقرانها مفهوم (النص) بمفهوم العلم في كتابها (علم النص) كان عن قصدٍ وعمدٍ، حيث أرادت بإضفائها سمةَ العلم على (النصّ) تحييد النصّ عن كلِّ ما تمّ التكيّف معه بخصوصه، من مسلماتٍ لا دليل عليها.

وأكّدت أنّ دراستها في كتابها (علم النصّ)، هي محاولة أولى "تحاول الإمساك، عبر اللسان، بما هو غريب عن عاداته، وبما يزعج نزوعه المحافظ، أعني الإمساك بالنصّ وعلمه، بهدف إدماجهما في بناء نظريّة معرفةٍ ماديةٍ"[13]، فهي تفصح عن سعيها لوضع نظريّة، وأردفت بأنّها تريدها "نظريّة للمعرفة"[14]، وسلكت منهجًا علميًّا؛ بدأته بطرح هذه التساؤلات؛ على علم الدلالات والسيميائيات:

– ما مكانة هذا الموضوع الخصوصيّ في خضم الممارسات الدالّة؟

– ما قوانين اشتغاله؟

= ما دوره التاريخي والاجتماعيّ؟[15].

وقد كانت كريستيفا متنبّهةً للإشكاليّات، التي قد تنبعث من ربط الدراسة النصّيّة بالعلوم الأخرى، وهو ما دفعها لتحييد الدراسة النصّيّة عن أن تكون تحت رحمة تلك العلوم، مؤكّدةً عدم تجاوزها حدود الإفادة منها، على نحوٍ جدليٍّ، دون هيمنتها، وهو ما صرّحت به، في سياق تأكيدها أنّ نظريتها السيميائيّة "تتبلور في موطن تقاطع علوم أخرى، وإن كانت تحتفظ لنفسها بمسافةٍ نظريّة تُمكّنها من تفكير الخطابات

العلميّة التي تشكِّل هي جزءًا منها"[16]، ولذا فإنّ ما سنراه بعد قليلٍ، من إفاداتها من المقولات الاجتماعيّة الباختينيّة، والنفسيّة الفرويديّة اللاكانيّة، والفلسفيّة على تفاوتها، وغيرها من العلوم التي ستشكّل مرجعيّة (التناصّ) المعرفية، لم تقصد بها إقحام العلوم في قلب الممارسة النقديّة عن افتتانٍ بها، وإنما جاءت؛ توسّلاً بها، في بناء النظريّة واختبار فرضيّاتها، ولذا رأت أنّها تضع "نظريّة علميّة للأنساق الدالة في التاريخ وللتاريخ كنسقٍ دال"[17].

ثالثًا: الروافد المعرفيّة لنظريّة التناصّ عند كريستيفا

رصدت الدراسة أربعة روافد معرفيّة، أفادت كريستيفا منها في تدشين نظريّة التناصّ، ونحسب لها أمانتها في الإحالة على تلك الروافد؛ التي شكّلت أبعاد رؤيتها التناصّيّة، وامتدّت، في ما بعد، على طول الظاهرة النقديّة الغربيّة، وفي ما يلي نتناول تلك الروافد المعرفيّة الأربعة.

أ- دي سوسير: النسقيّة والدلالة

وقفت الدراسة على تأثّر كريستيفا؛ في بناء نظريّة التناصّ لديها، بمباحث اللسانيات الحديثة، عبر محورين، هما:

- تصحيفيّة دي سوسير والتناصّ.
- علم الإشارات ودوائر الدلالة عند دي سوسير.

وتناول المحوران عناية الدرس اللغويّ والنقديّ الحديث بمباحث سوسير، وبخاصّة تفريقه بين (اللغة) و(الكلام)؛ وأنّ اللغة جزءٌ مهمٌّ من اللسان ونتاجٌ اجتماعيٌّ له، وأنّ الكلام لا يتحقّق ما لم يتبادل فيه الفرد الخطاب بوعيٍ وقصدٍ منه، وقد أفادت كريستيفا

من ذلك، وأضحت هذه المسائل اللسانيّة ركيزةً مهمّةً لديها، وأكّدت أنّ "الكلام بحسب دي سوسير هو "عمل فردي نابع عن إرادةٍ وذكاء"[18].

كما أشارت كريستيفا تحت عنوان (الخطاب الغريب في فضاء اللغة الشعريّة: التداخل النصّيّ والتصحيفيّة) إلى ما أثبته دي سوسير؛ من تعدّد قراءات القول الشعريّ الواحد، وهي تعني بالتصحيفيّة أحد محاور مخطوطات سوسير، وهو ما سُمِّي بمخطوطة الجناس التصحيفيّ Les anagrammes؛ التي كان سوسير يضع فيها (الكلمة بمحاذاة الكلمة) و(المقطع بمحاذاة المقطع)، لوجود تقاطعٍ دلاليٍّ بينها، فكان "اهتمام سوسير المستمر بهذا البحث هو إيجاد كلماتٍ، هي في بعض الأحيان ذات منطوقٍ قصيرٍ، مكتوبةٍ (تحت كلمات) نصّ ظاهري"[19]، وهذا يُثبت أنّ سوسير –إلى جانب موقعه من اللسانيّات– باحثٌ أدبيّ؛ عُني بالمضمون إلى جانب عنايته النسقيّة الشكليّة، وكان في "بحثه عن الحكاية الخرافيّة الجرمانيّة وعن الأسطورة الهنديّة فعّل مناهج البحث السيميائيّ"[20]، وقد رأت كريستيفا أنّ هذه العمليّة التفاعليّة في تصحيفات سوسير، تتلاقى مع مفهوم (التناصّ) لديها؛ لجهة دلالة كليهما على تفسّخ نصوصٍ ومعانٍ متعددةٍ وامتصاصها داخل الرسالة الشعريّة[21]؛ ولهذا أكّدت "ضرورة دراسة المعنى السابق على الكلام الملفوظ"[22].

من جهةٍ أخرى، استدعت كريستيفا مقطعًا لسوسير، حول علم الإشارات ودوائر الدلالة، يقول فيه: "فعلم اللغة هو جزءٌ من علم الإشارات العامّ: والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة، ويحتلّ العلم الأخير مكانةً محدّدةً بين كتلة الحقائق الأنثروبولوجيّة. وتقع على علماء النفس مسئوليّة تحديد الموضع الدقيق لعلم الإشارات أما واجب اللغويّ فهو البحث عمّا يجعل من اللغة نظامًا خاصًّا متميزًا بين كتلة معطيات علم الإشارات"[23]، أي أنّ دي سوسير يرى إمكانيّة تعويم السيميولوجيا،

وسط غيرها من العلوم والمناهج، وهو ما أكّده، أيضًا، بتنبيهه إلى أنّ (السيميولوجيا) أفقٌ أوسع يؤطِّر باقي الآفاق اللغويّة، ومنها اللسانيّات[24].

لقد استلهمت كريستيفا كلّ ذلك، وكانت وفيّةً لهذا المنهج السوسيريّ؛ حيث عدّت اللغةَ دائرةً صغرى ضمن دوائر أخرى تنتظمها، تتمثّل في علم الإشارات، وعلم النفس الاجتماعيّ، وعلم النفس العامّ، وكلُّ دائرةٍ منها تفتح نوافذ على علوم ومباحث أخرى، كما ظهر أثر ذلك، في إطار تأصيلها لنظريّة (التناصّ)، بالبحث حول الكلام في دائرتين، الأولى: نظام اللغة وقوانينها؛ أي النصّ في صورته الأوّليّة، والثانية تتجاوز حدود اللغة؛ لتلامس واقع العلاقات الاجتماعيّة وكلَّ ما ينتظمها من جهة وظيفتها الإبلاغيّة، وهو الخطاب.

ب- رؤية باختين الاجتماعيّة وجهازه المفاهيميّ

ألهب مشروع باختين الساحة النقديّة؛ وكانت كريستيفا أبرز الأسماء في استيعاب مشروعه، ونظرًا لعمق تداخل جهازها المفاهيمي مع مفاهيميّة باختين، وما نتج عنه من وضعها نظريّة (التناصّ)، التي عكست تلك المفاهيم، حتى لقيت من الرواج ما غطّى على المفاهيم الباختينيّة، كان ضروريًّا الوقوف على أبعاد هذا الاستلهام؛ الذي يعدّ الرافد الألصق بفكرة (التناصّ)، وتناولنا ذلك عبر المحاور الآتية:

- النزعة الآخريّة / الغيريّة / الغرائبيّة لدى باختين وكريستيفا.
- من التعدّديّة إلى حواريّة باختين وتناصّ كريستيفا.
- الأشكال الحواريّة (التناصّات) عند باختين.
- من تعدّد الأصوات إلى الإديولوجيم.

وتبيّن؛ عبر هذه المحاور، أن مجادلة باختين عن أعمال ديستويفسكي إنما جاءت نتيجة التلاقي بين رؤيتيهما للكون والإنسان؛ فأكّد أنّ "الفكرة الإنسانيّة تصبح فكرةً حقيقيّةً، وذلك فقط عندما تقيم اتصالاً حيًّا مع فكرةٍ أخرى غيريّةٍ تتجسّد في صوتٍ غيريٍّ، أعني في وعيٍ غيريٍّ معبَّرٍ عنه بالكلمة"[25]، وأشار تودوروف إلى أنّ هناك أفكارًا خاصّة انطلق منها باختين، شكّلت مفتاح عمله؛ وهي عدم إمكانيّة إدراك وجود أيّ كائنٍ منفصلاً عن علاقاته بالآخر[26]، وكانت العلاقة التي ربط بها رابليه شخوصه رغم تناقضاتها هي أيضًا ما دفع باختين إلى المجادلة عنه؛ ولذلك قال: "كلّ واحدٍ من فصول التاريخ العالميّ صحبته ضحكات الصوت الجماعيّ، لكنْ لم يجد هذا الصوت الجماعيّ في كلِّ العصور قائد جوقته من وزن رابليه"[27]، وقد انتهجت كريستيفا منحى باختين الاجتماعي؛ القائم على تفاعل الذوات، وأسّست على غراره منظورها النقديّ، مستندةً إلى أنّ الذات لا تدرك وجودَها إلا بالتفاعل مع الذوات المحيطة بها.

وانطلاقًا من ذلك المنظور الفلسفيّ، وما يؤسّس له من توالد المعرفة عبر تفاعل الذواتّ المتعدّدة، أطلق باختين لأوّل مرّةٍ مفهوم الرواية (متعدّدة الأصوات)؛ على أعمال دوستويفسكي، ورأى أنّه "يجب أن نتعلَّم عند دوستويفسكي نفسه بوصفه خالقًا للرواية المتعدّدة الأصوات"[28]؛ فجادل عنه؛ لما وجده في أعماله، من وفرة أنماط الوعي المختلفة، ومقاربتها الواقع من زوايا متعددةٍ، وعارض بها الرواية الكلاسيكيّة (رواية الصوت الواحد) أو (الرواية المنولوجيّة)؛ التي يسيطر السرد المنطلق من رؤيةٍ أيديولوجيّةٍ معينّةٍ على حبكتها.

من ثمّة، وارتكازًا على تلكما الأمرين: الرؤية الفلسفيّة لعلاقة الذات بالغير، والمنظور النقديّ القائم على (تعدّد الأصوات)، رفض باختين أن تكون لغة الرواية رتيبةً واحدةً، فلا بدّ لتحقيق ذلك من (تعدّد الأصوات)؛ أي وجود نطاقاتٍ تكفل وجود

الآخر؛ كممازجة الأجناس الأدبيّة، وتفاوت أصحاب الأعمال (كالقاضي، والفلاح، والنجّار، والممثّل، والتاجر، والبنّاء، والحارس)، إلى مختلف تصنيفات الواقع، من طبقيّةٍ مادّيّةٍ ومناصب سياسيّةٍ ودينيّةٍ ومستوياتٍ تعليميّةٍ واجتماعيّة، وبهذا تتعدّد أصواتٌ؛ أي (وجهات نظرٍ، رؤى، أيديولوجيّات، قناعات، أساليب، أفكار، أنماط وعي)؛ بما يكثّف واقع الرواية؛ لتتّسع لاستيعاب العالم؛ وتتشاكل مع الواقع إلى حدّ الاندماج، وقد أطلق عليها الرواية البوليفونيّة؛ لما تحويه من "أصواتٍ متعدّدةٍ، تؤدّي نغماتٍ مختلفةً داخل القيمة الغنائيّة الواحدة"[29].

على أنّ توسّع باختين في تأثيث الرواية بهذه (الأصوات) لم يكن مقصودًا لذاته، بل تهيئةً منه لما أطلق عليه مفهوم (الحواريّة)، وهو مفهومٌ مهمٌّ آخر قرنه باختين بمفهوم (تعدّد الأصوات)؛ حيث إنّ تعدّد الأصوات مقدّمةٌ لتشكيل لغةٍ حواريّة (ديالوجيّة)، تهيّء لصعود حركة الأفراد إلى عالم الرواية، على نحوٍ يعكس دوافعهم دون زيفٍ، فهو ينقل تفاوتاتهم واختلافاتهم بهيئاتٍ (حواريّةٍ)، لا بمعنى الحوار العاديّ، بل بمعنى أنّه "في أيّ لحظةٍ من وجود الرواية التاريخيّ، فاللغة تكون ذات تعدّدية"[30].

لقد شكّل مفهوما (تعدّد الأصوات – الحواريّة) أبرز مفاهيم باختين، التي رسم بها منهجه النقديّ، وكشف من خلالها أنه لا يمكن تصور خطابٍ لا يفترض وجود الآخر والتفاعل معه، وهو بذلك يؤشّر تأشيرًا واضحًا على ظاهرة (التناصّ)، لكن تحت مفهومٍ آخر هو (الحواريّة)، وهذا هو ما ألهم كريستيفا فكرةَ (التناصّ)، إلى الحّد الذي يمكن معه القول إنّ باختين ذهب بعيدًا في تأطير مفهوم التناصّ، و إنْ تناوله بمفهومٍ آخر.

يُظهر ذلك إلى أيّ مدىً كان مفهوم (التناصّ) شديد الارتباط بالدائرة المفاهيميّة لباختين وأطره الاجتماعيّة، في خلق الإبداع الفنّيّ؛ فكانت تلك الدائرة وما تؤسّس له

من تفاعلاتٍ (تعدّد أصواتٍ–حواريات–إديولوجيم) داخل النصّ، رافدًا ؛ أطّرت كريستيفا من خلاله نظريّة التناصّ لديها، لتُعنى بعد ذلك بدراسة النصّ عبر توسيع العلاقات الحواريّة، على طول مساحة النصوص وتعالقها فيما بينها، ومن ثمّ بيّنت حدود النصّ وعرّفته، في ضوء هذا التعالق، بأنّه ليس إلا "ترحال للنصوص وتداخل نصّيّ"[31].

على أنّ كريستيفا لم تقف بالمصطلح عند حدود مفهوم (الحواريّة)، بل طوّرته عبر (التناصّ)، ورسّخت ركائز حضوره، وقدّمت عبر نظريّة (التناصّ) طرحًا جديدًا؛ خالفت به الرؤية الغربيّة التي كانت تتناول النص في حدود دراسة الأدب المقارن ومسألة التأثير والتأثر والبحث عن الأصول والمصادر؛ كما طوّرته في ضوء المفاهيميّة الحديثة التي عاصرتها، بما يلائم مشروعها السيميائيّ؛ وذلك منذ أن صرّحت بأنّ النصّ "جهازٌ عبرَ لسانيّ يُعيد توزيع نظام اللسان بواسطةٍ بالربط بين كلامٍ تواصليٍّ يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماطٍ عديدةٍ من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه"[32].

ونتيجةً لما أضافته فكرة (التناص) على مفهوم (الحواريّة) الباختينيّ الذي استلهمته، فرّق تودوروف بين المفهومين؛ فرأى التناصّ أكثر شموليّةً، وقال: "سوف أستعمل لتأدية معنى أكثر شمولاً، مصطلح (التناصّ) الذي استخدمته جوليا كريستيفا في تقديمها لباختين، مدّخرًا مصطلح الحواريّة لأمثلةٍ خاصّةٍ من التناصّ مثل تبادل الاستجابات بين متكلمين أو لفهم باختين الخاصّ للهويّة الشخصيّة للإنسان"[33].

ج– تأثّر التناصّ بمباحث علم النفس

رافد معرفيٌّ آخر؛ استلهمته كريستيفا، في تأطير نظريّة التناصّ لديها، يتمثّل في مباحث علم النفس، وقد قاربت الدراسة ما أفادته كريستيفا من هذا الرافد، عبر تناول هذين المحورين:

– الإبداع بين اللاوعي وبنية اللغة.

– التناصّ والذات المتكلِّمة: تحليل النفس وتحليل النصّ.

واتضح بالوقوف على هذين المحورين، أنّه كان لتلاقي رؤية كريستيفا مع مرتكزاتٍ أساسيّةٍ من منهج التحليل النفسيّ، من ناحيةٍ، وتجافيها عن المنهج البنيويّ في المقاربة، من ناحيةٍ أخرى، دورٌ في أخذها منحىً توفيقيًّا؛ رفدت به نقد ما بعد البنيويّة بمعطيات التحليل النفسيّ، وبخاصّة المفاهيم الفرويديّة واللاكانيّة، التي استوعبتها في منظورها التناصّيّ، مستفيدةً من علاقتها بالدراسة النصّيّة والحالة الإبداعية.

فمنذ أن برّر فرويد تحليله الإبداع الأدبيّ بأنّ "الأعمال الفنّيّة، إشباعٌ خياليٌّ لرغباتٍ لا شعوريّةٍ، شأنها شأن الأحلام؛ وهي مثلها محاولات توفيقٍ، حيث إنّها بدورها تجهد كي تتفادى أيّ صراعٍ مكشوفٍ مع قوى الكبت"[34]، ذاعت رؤيته في أنّ الأدب صدىً لصوت اللاوعي واعتمد الظاهرة الأدبيّة لاستظهار مسارات اللاوعي[35]، وصرّح بأنّ وظيفة التحليل النفسيّ للأدب تتجسّد في "أن يأخذ العلاقات المتبادلة بين ما تأثّر به الفنان في حياته، وخبراته العارضة، ومنتجاته، ويستخلص منها نفسيّته وما يعتمل فيها من دوافع –أي، ذلك الجزء من نفسه الذي يشارك فيه الناس جميعًا"[36]، وليس يخفى تلاقي جوانب من هذه الرؤية حول بواعث الإبداع، مع البعد الحواريّ الاجتماعيّ لدى باختين، الذي لفتنا إليه قبل قليل، وإن اختلفت المقولات.

وقد وسّع لاكان العلاقةَ بين اللغة والنفس الإنسانيّة، مؤكّدًا أنّ النفس هي موئل حقائق الكلمة؛ لأنّ اللاوعي في حقيقته كلمة، واللغة مرآة اللاوعي، وأنّ ما يكشفه التحليل النفسيّ لن يتجاوز بنية اللغة، فلم يعُد اللاوعي عنده مجرّد مجموعةٍ من

الغرائز والرغبات، وإنما هو كتلةٌ من الأنساق اللغويّة، حتّى أنّ المرض النفسيّ أصبح عنده دالاً يرمز إلى غيابٍ (رغبةٍ)[37].

وبهذا؛ رأى لاكان؛ لشدّة تعلقه بفكرة الرغبة، أنّ الأدب "موضوع من موضوعات الرغبة"[38]، وأنّ الرغبة جوهر النتاج الأدبيّ، بما يجسّده هذا النتاج من نزعةٍ مكبوتةٍ، وبالغ في هذا الربط، حتّى رأى أنّ "الكلمة ليست علامةً ولكنّها عقدةٌ دالّةٌ"[39]، وهنا نشير إلى أبلغ ما افادته كريستيفا من لاكان؛ وهو انتقاله من حالة (المداخلة بين النفسيّ والنصّيّ) عند فرويد، إلى حالة (التطابق بين النفسيّ والنصّيّ)، وهو ما جعل القول (بتحليل النفس) كالقول (بتحليل النصّ)، وكذا العكس، وبتعبير هيو سلفرمان: "الذات المتكلّمة متجسّدةٌ، وتجسُّدها يمكن أن يُقرأ كنصٍّ؛ فالذات المتكلِّمة مركوزةٌ في اختلافٍ قائمٍ بين ما هو سيميائيٌّ و رمزيٌّ، أو بين لغةٍ مباشرةٍ ولغةٍ محضة"[40].

لقد وجد هذا صداه في منظور كريستيفا التناصّيّ، فرأت أنّ (الذاتَ المتكلِّمةَ) تعجّ بالانفعالات والرغبات، وأنّ اللغة وجود هذه الذّات، وهي ليست بمعزلٍ عن التاريخ، أو المجتمع وأنماط الإنتاج فيه وما يحكمه من قوانين، ولأنّها ذاتٌ تعبّر عن نفسها من خلال اللغة، فإنّها من موقعها هذا تتفاعل مع المكوّن الآخر، فالذات المتكلِّمة ذاتٌ نصّيّةٌ تستقي اللاشعور؛ وتقوم بعملياتٍ تدخل من خلالها في عمليّة (تناصٍّ) مع ذواتٍ أخرى، هدفها "إحداث موقفٍ تكون فيه الذاتيّة (نظامًا مفتوحًا) أو (عملاً يتقدّم و يتطوّر) أو (سيرورةً منفتحةً على الآخر) بإمكانها في الوقت نفسه إيجاد شكلٍ معدّلٍ و منقّحٍ لهويّة المرء بعينه"[41].

ونتيجةً لكلّ ذلك؛ رأت كريستيفا النصّ بما يلهبه من تفاعلاتٍ مع نصوصٍ أخرى، هو كالذات البشريّة بما تعجّ به من انفعالاتٍ نتيجة تجاذبها مع ذواتٍ أخرى من واقع الحياة، ما يعني أنّ (الترابط / التناصّ) القائم بين الذوات، مثله (التناصّ/الترابط) القائم على تعالق النصوص في ما بينها، ولهذا رأى ليتشه –مبيّنًا

هذا الربط الذي أقامته كريستيفا بين تحليل النفس وتحليل النص– أنّ "الفضاء الذي تتجلّى فيه ديناميّة الذاتيّة في رأي كريستيفا هو الفضاء الفنّيّ، والمعنى الذي يحدث فيه ذلك هو أمرٌ مهمٌّ: ذلك لأنّه يميّز كريستيفا عن كثيرٍ من الآخرين من النقّاد والمختصّين في نظريّة العلامات. وبينما من الضروريّ لأيّ عملٍ فنّيٍّ إظهار إشاراتٍ من الترتيب والتحكُّم الإنسانيّ ليكون عملاً فنّيًّا، إلا أنّه لا توجد ذاتٌ كاملةٌ سابقةٌ للعمل، بل إنّ المحاولة الفنّيّة تكوّن الذات بقدر ما إنّ الذات تكوّن العمل الفنّيّ"[42].

بهذا فإنّ تعميق الحضور النفسيّ إلى جانب اللسانيّ، وفق المنظور التناصّيّ، الذي أقامته كريستيفا؛ من خلال مطابقتها بين (النفس) و(النصّ)، و بالتالي بين (تحليل النفس) و(تحليل النص)، يقود إلى سحب اللغة نحو عالم السيميائيّ الذي تريده، حيث تتلاقى (النصوص) وتتقاطع كما (النفوس)، وتتخلّق الدلالة في نظامٍ مركّبٍ من عدّة أنظمةٍ، تُفضي معًا إلى محتوى أو تعبيرٍ كلّيٍّ، يؤطّر النصّ بمجموعةٍ من الروابط النفسيّة واللسانيّة تشكّل معًا منطلقًا للمعنى، وفي هذا ما يعلّل جانبًا من "حرصها على تحليل ما لا يمكن تحليله: ما هو غير قابلٍ للتعبير عنه، والمتغاير و(الآخريّة الجذريّة Redical Otherness) في الفرد والحياة الثقافيّة"[43]، فهي بتلك المطابقة جعلت من المقاربة النفسية أداةً ناجعةً لدراسة النصّ؛ ورأت أنّ هذه المقاربة تتعاضد مع الأداة اللسانيّة في التحليل، وهي لا تُفسد عمليّة التدليل، بل على العكس تُلهب عمليّة التأويل داخل النص، بكشف (تناصّات) معانيه الحقيقيّة وبنيته العميقة، مع دلالات نصوص أخرى.

د– الرافد الفلسفيّ

كما أفادت كريستيفا، أيضًا، في رصفها مباحث نظريّة التناصّ، من رافدٍ آخر؛ يتمثّل في الفلسفة ومناهجها، وقد تناولته الدراسة؛ عبر هذين المحورين:

– التناصّ ومنهج هيجل الجدليّ.

– النفي الخالق للشعريّة.

والذي ظهر؛ من خلال الوقوف على هذين المحورين، أنّ الاشتغال بدراسة ظاهرة التناصّ، من جهة كونها إفرازًا طبيعيًّا لتحقّق التواصل بين الذوات، في معناه الواسع، هو اشتغالٌ فلسفيّ؛ على تماسٍّ بموضوعات الفلسفة الكبرى، من جهة عناية هذه الموضوعات بدراسة الأبعاد الوجودية الاجتماعيّة، لذا فإنّه "ليس بمستغربٍ أن نجد نظريّات التناصّ أينما وجد حديثٌ حول النصوص، من الكلاسيكيّات، كإفلاطون وأرسطو وهوراس ولونجينوس، وباختين وكريستيفا وغيرهما من القرن العشرين، والمنظّرين مثل جينيت وبارت ودريدا وريفاتير وغيرهم"[44].

ولم يفارق البعد الفلسفيّ ومناهجه المتفاوتة تنظيرات كريستيفا، وهي تخوض مباحثها التناصّية، حتّى صارت تستهديه في تحليلها الدلائليّ؛ بعد أنْ أقرّت بأنّه اشتغال "يجد نفسه منتميًا إلى الخلخلة الفرويديّة، وفي مستوى آخر ماركسي هذه المرة، وبالعلاقة مع الذات وخطاباتها، يقوم التحليل الدلائليّ بالشكلنة التي يهدف بها إلى التفكيك"[45]، و منذ أن صدحت كريستيفا بأن السيميائيّات هو حقلٌ يفكّر قوانين اللغة العلّيّة، ولا يغيّب الذات داخل اللغة، صرّحت بأنّها أخضعت دراسة الدلائليّة في خطّ تنظير المنطق الجدليّ، وليس الصوري؛ لأنّ نسق العلوم يأخذ، في بحثها السيميائيّ، منهجًا يبعد عن مركزيّته المجرّدة، ويأخذ منحى جدليًّا؛ كما صرّحت بأنّ السيميائيّات جزءٌ لمنهجٍ فلسفيٍّ معيّنٍ (بالمعنى الكانطيّ للكلمة)[46]؛ وأخذت بالمنهج الجدليّ متأثّرةً بهيجل؛ الذي عُدّ منهجه أبرز المناهج الفلسفيّة الحديثة؛ لدراسة المجتمعات وتقديم أدوات تطويرها، وذلك من خلال إبراز تناقضات القوى الاجتماعيّة، وقيام الدولة على أساسٍ من تصارع تلك القوى.

وهو ما برز في ربط كريستيفا تلك الجدلية بمنظورها التناصّيّ؛ ولاسيما لجهة ما ينطوي عليه هذا المنظور من دلالةٍ على التوالي غير المتناهي؛ وهو ما عدّته نتاجًا طبيعيًّا للحالة الجدليّة التي تخوضها المقاطع اللسانيّة، بدل الصورة النمطيّة التقليديّة التي تقصر المقطع اللسانيّ على (دالٍّ–مدلول)، فالتناصّ في جوهره حالةٌ (جدليّة ديالكتيكيّة) تنطوي على معنى المحاورة والمحاججة بين طرفين، وهو ما يؤسّس لتفسير الظاهرة الأدبيّة؛ على أساسٍ من هذا البعد التناصّيّ الجدليّ.

وفي هذا السياق ناقشت كريستيفا أيضًا مسألة (النفي الخالق للشعريّة)، وذلك انطلاقًا من علاقة مفهوم (النصّ) بـِ(التناصّ) عندها، وهي بذلك تربط الحال الإبداعيّة بقوانين المنهج الجدليّ، على نحوٍ بارزٍ، مستندةً، في ذلك، لقانون بارزٍ من بين قوانينه، وهو (قانون نفي النفي)، الذي يعني ببساطةٍ: حصول تطوّرٍ جديدٍ أفضل؛ نتيجة بلوغ الصراع غايتَه، مع التأكيد على أنّ نفي الجديد للقديم لا يعني إلغاءه إلى حدّ النفي التامّ، بل يُبقي على إيجابيّاته ويُبعد نواقصه وسلبياته، وهو ما يجعل الظاهرة الإبداعيّة تبرز على نحوٍ أرقى؛ لتدخل من جديدٍ، في صراعٍ مع نقيضٍ آخر، لتزيد؛ مرّةً أخرى، في مستوى تطورها، وهكذا دواليك.

وعلى هذا النحو، أبرزت الدراسة علاقة المنهج الجدليّ، عند كريستيفا، بالتناصّ؛ فهي ترى أنّ الحال النصّيّة الإبداعيّة المُحْدَثة، التي تستلهم وتمتصّ من حالاتٍ نصّيّةٍ إبداعيّةٍ متقدّمةٍ عليها أو متزامنةٍ معها، وتدخل في حالٍ من التقاطع والتواصل معها، إنّما تدخل بذلك في حالٍ جدليّةٍ تُفضي بها لا لإلغاء تلك الحال النصّيّة الإبداعيّة المتقدمة أو المتزامنة، ونسفها بصورةٍ تامّةٍ كلّيّةٍ، بل إلى إنتاجها من جديدٍ، ولكن على نحو انتقائيٍّ مغايرٍ؛ يسعى، وفق قانون نفي النفي، لإبقاء جوانب تحّقق الحال الإبداعيّة المرجوّة، كما يؤدّي، في الوقت ذاته، لإزواء ما يتنافى معها؛ ممّا كان يمثّل

منقصةً في تلك الحالات النصّيّة المتقدّمة والمتزامنة؛ وبذلك تبرز الحال الإبداعيّة المحدثة على نحوٍ أفضل.

إنّ هذه الحال الجدليّة التي تصير إليها النصوص، عبر (قانون نفي النفي)، فتؤدّي لتتالي النصوص ضمن تلك العمليّة التناصّية، عدّتها كريستيفا (تفكيرًا للّغة)؛ تنتقل به من النفي المنطقيّ إلى الشعريّة، كما هو حال التفكير داخل أيّةِ ظاهرةٍ من الظواهر الاجتماعية الأخرى وفق هذا القانون من بين قوانين هيجل، حيث يتم وفق هذا القانون الاختيار من بين بدائل متاحة، "فالعمليّة المنطقيّة (النفي) التي تبدو في أصل كلّ نشاطٍ رمزيٍّ (بما أنّها في أساس الاختلاف والإخلاف كما يلاحظ ذلك هيجل). هي العصب الأساس الذي يتغلغل فيه الاشتغال الرمزيُّ، من ثمَّ فإنّنا نلاقيها كلّما حاولنا تفكير اللغة"[47]، وهذه العمليّة، التي سلكتها كريستيفا، في سبيل توضيح ما يحدث من إجراءٍ تدليليٍّ داخل الشعريّة، تجعل اللسانيّات على تماسٍّ بالمقولات المنطقيّة، وهذا يجعلها تنفتح على رافدٍ طالما ظنّت أنّها بعيدة عنه، وهو مجال الفلسفة.

وفي سياق ربطها المنظور التناصّيّ بالإطار الفلسفيّ، بحثَت كريستيفا أيضًا (النهاية الاعتباطيّة للأثر الأدبيّ)، وتناولت الأصول الزمنيّة للنصّ الأدبيّ، كما عنيت بالتفريق بين (الانتهاء الإنشائيّ) و(الاكتمال البنائيّ)، وذهبت إلى أنّ الاكتمال البنائيّ، وإنْ كان من ميزات الأدب، فإنّ معظم الأنساق الفلسفيّة لا تعتدّ به، كما ذهبت كريستيفا، من خلال منظورها التناصّيّ، إلى أنّ ما قد يعترض بعض النصوص، من افتقارٍ إلى النهاية الصريحة، أو أنْ تكون نهايتها خافيةً أو غامضةً وغير واضحة، يبعثه على آفاقٍ من المتخيّلات الجدليّة المفتوحة؛ وغير المتناهية، وهو ما صارت تصدح به؛ عبر تأكيدها أنّ "الغياب لا يزيد الاكتمال البنائيّ للنصّ إلا تأكيداً"[48]؛ وهو ما يعني الانفتاح على فيضٍ من (تناصّاتٍ) لا تكاد تنتهي.

رابعًا: التلقّي الغربيّ لنظريّة التناصّ

أ- الدائرة المفاهيميّة لنظريّة التناصّ

انطلاقًا ممّا يمثّله الحقل المفهوميّ لنظريّة التناصّ؛ من منفذٍ مهمٍّ؛ لكشف النظريّة وحدودها وانعكاساتها على الساحة النقديّة الغربيّة، فقد تناولنا هذه المفاهيم، وجعلناها على نوعين: بنائية وراشحة؛ ويتضمّن النوع الأول المفاهيم الألصق بالإطار الفكريّ للتناصّ، وتنبع أهمّيتها من دورها في فهم تشكّل النظريّة، وقد تناولتها الدراسة تحت محاور ثلاثةٍ؛ هي:

1_ التناصّ بين السيميوطيقا والسيمياء التحليليّة.

2_ التناصّ والنص العابر للغة.

3_ التناصّ وإنتاجيّة النصّ.

ويتضمن النوع الثاني مفاهيم لها ظلالٌ إجرائيةٌ، تتجاوز البناء النظري، وتناولتها الدراسة في محورين، هما:

1- مستويات التناصّ.

2_ التناصّ بين الإطار العلائقي والمبنى التحويلي.

وكان من المهمّ الربط بين هذه المفاهيميّة المتولّدة عن نظريّة التناصّ، وبين مقاربات النقّاد والباحثين الغربيّين للنظريّة، وكانت مسألة (التناصّ بين الإطار العلائقيّ والمبنى التحويليّ) إحدى المسائل المهمّة؛ التي تناولناها في هذا السياق، حيث ميّزت كريستيفا بين صنفين من التناصّ: تناصٍّ بارز وتناصٍّ تكوينيّ، ويكون الأول ظاهرًا في النص بمكوناتٍ رسميّةٍ طباعيّةٍ شاخصةٍ، فيما يلامس الثاني طبيعة الخطاب داخل النص، وهو ما عبرت عنه بقولها: "يتكوّن كلّ نصٍّ كموزاييك من

الإستشهادات، كلّ نصٍّ هو امتصاصٌ وتحويلٌ لنصٍّ آخر"[49]، وصار التمييز بين هذين الصنفين، من أدقّ وجوه تفاوت النقّاد الغربيّين في مقاربة التناصّ، التي ألقت بظلالٍ كثيفةٍ على المبحث التناصّي، وإن بخفاءٍ، فظهر على بعضهم العناية بالمبنى التحويليّ للتناصّ، القائم على التواصل المضمونيّ والتشرّب والامتصاص، فيما عني بعضهم الآخر بالإطار العلائقيّ القائم على المكوّن البنيويّ للنصّ؛ والتعاطي مع الأشكال الكتابيّة واقتباسها، فيما داخل فريقٌ ثالثٌ بين الاثنين.

كما كان من الموجّهات التي طبعت مقاربات النقّاد الغربيّين وشكّلت اختياراتهم، وهم يتناولون نظريّة (التناصّ)، أنّهم لم يكونوا منفكّين عن –أو متأثرين بِـ– مرجعيّتهم والتزامهم بمدرسةٍ من المدارس النقديّة، كالبنيويّة والشكلانيّة أو السيميولوجية، إضافةً إلى تأثّرهم بما ساد الحركة النقديّة الغربيّة في فترة ما بعد الحداثة؛ من تفاوت المقاربة، بين من ينحو بالدراسة النقديّة منحى المقاربة النظريّة البحتة، ومن هو دائم التوثّب نحو تقعيد الأطر النقديّة والأخذ بها نحو المسالك الإجرائية، وهذا سنقف عليه في تناولنا مقارباتهم للتناصّ في العنوان التالي.

ب– نظريّة التناصّ بين يدي النقّاد الغربيّين

قاربت الدراسة نتاجات سبعةٍ من كبار النقاد الغربيين؛ ممّن تصدّروا المشهد في تناول نظريّة التناصّ، هم: رولان بارت، وجاك دريدا، وهارولد بلوم، ولوران جيني، وأمبرتو إيكو، وتزفيتان تودوروف، وجيرار جينيت، و فيما يلي نعرض لبعضهم، هنا، بإيجازٍ.

1– رولان بارت والتناصّ

كان لموقع بارت (1915–1980) البارز في النظريّة الغربية أيّام البنيوية وحراك ما بعد الحداثة دورٌ في إشهار مصطلح التناصّ؛ فكان من أوائل من سعوا لإخراجه

من الإطار النخبويّ إلى الوسط النقديّ العامّ، وذلك بإدلاجه مصطلح (التناصّ) في الموسوعة العلميّة، ضمن مادّة (نظريّة النصّ)[50]، وقد تتبّعنا مبحثه التناصّيّ عبر مقالين وكتابين، نشرها على مدى سبع سنواتٍ، أولها مقاله (موت المؤلف) 1967، وآخرها كتاب (لذّة النصّ) 1973، وبينهما مقاله (من العمل الأدبيّ إلى النصّ)، والكتاب الآخر "S/Z" 1970، وهذه الفترة مهمّة لأمرين؛ فهي أهمّ مراحل تشكّل نظريّة التناصّ، كما أنّها فترة ظهور معالم خروج بارت على البنيوية، وبروز انشغاله بالتناصّ.

ونميل إلى أنّ بارت لم يقدّم إضافةً مُعتدّةً، على خطّ تفسير الفكرة التناصّية، وبخاصّة إذا قيس ما قدّمه بما قدّمه باختين، أو بما قدّمته كريستيفا؛ من تفسيراتٍ لمنظورها التناصّيّ؛ حيث استدعت مناهج الفلسفة وعلم الاجتماع والتحليل النفسيّ، على أنّ هذا لا يعني إغماض العين عن دوره في إشهار المفهوم، ضمن الإطار التحديثي؛ كما كان لمصطلحاته المخترعة دور في توسيع دائرة حضور النظريّة، وذلك لكثرة استشهاده بمقولات كريستيفا وشرحها، وكان شديد الوفاء لمنظورها التناصّيّ الذي بثّه في دراساته النصية، وكثيرًا ما ربط مفهوم التناصّ بتفسير مصطلحاتِه؛ حتّى صرّح في مقالته (نظريّة النص) بتبنّيه منجزاتها، وأخذ في شرحها وتوسيعها، ورأى أنّ التناصّ قدر كل نصٍّ؛ "فكلّ نصٍّ ليس إلا نسيجًا جديدًا من استشهاداتٍ سابقة"[51]، وكانت مقالته (موت المؤلف) بعدًا فارقًا في الرؤية التناصّيّة، داخل مرحلة التلقي الغربي للنظرية.

2- جاك دريدا والتناصّ

برز دريدا بين المشتغلين في مباحث جماعة (تيل كيل)، وجسّد مفهوم (الغياب) لديه – وهو أبرز مفاهيمه التفكيكية القائمة على الإرجاء والإحالة – أهم نقاط التقاطع

بين منظوره التفكيكي وبين الرؤية التناصّية، وقد كانت شدة هواجسه تجاه النص المكتوب وليدة نزعته الفلسفية؛ متأثّرًا بما رآه أفلاطون من أنّ الكتابة فكرة للوقوف في وجه النسيان، أي بهدف حفظ القول[52]، فهي ليست الأصل، وحمله هذا على استعمال مصطلح (الفارماكون) بمعنى فلسفيٍّ أخذه من أفلاطون؛ فَحْواه أنّ الكتابة تضر من حيث تريد أن تنفع؛ كالدواء والسم معًا؛ ورأى أنّ "الفارماكون متضمّن في بنية اللوغوس. وهذا التضمن إنما هو هيمنة وقرار"[53].

وهذا قاده إلى بناء رؤيته، المتمثّلة في عدم وجود معانٍ نهائية بإزاء الكلمات، كما تشبّث بتقدّم الصوت على الكتابة، للأخذ بمبدأ الاختلاف والإرجاء؛ وقال: "إذا تتبعنا حرفيّة النصّ، فإنّ نقد الشبح أو الأرواح سيكون إذن هو نقد التمثيل الذاتي والتجريدي لما يجري في الرأس، ولما لا يخرج من الرأس"[54]، وأخذ بمفهوم (المعنى اللانهائي) و(النص المفتوح)؛ ترسيخًا لفكرة ملاحقة (المدلول المتعالي) الخفي دائمًا، وهذه الرؤية تبرز تلاقي منظوره بالتناصّ؛ في رفض الإقرار بالنصّ المستقل، والبحث المستمرّ عن النصّ المفقود، وهو ما يلغي حق النصّ في التفرّد وحق الكاتب بالاستحواذ، ويلغي الفواصل بين النصوص، على النحو الذي تذهب إليه نظريّة التناصّ؛ كما أخذت فكرة التناصّ أهميتها في تقويضية دريدا، لجهة ما تقوم عليه هذه الفكرة من مبدأ تداخل النصوص، الذي يحقق لديه ثنائية الابتعاد والاقتراب القائمة على انفتاح المدلول عبر تفاعلٍ لامتناهٍ عبّر عنه بقوله: "أنا لا أعتبر النّص، أيّ نصّ متجانس، ليس هناك من نصّ متجانس"[55].

3- لوران جيني والتناصّ

بدا جيني شديد الانجذاب للتناص؛ وجعله ضمن اشتراطات القراءة، وصرّح أنّ دعوته لقراءة مزدوجة للنصوص؛ إنما جاءت "لفك شفرات تناصّها مع النموذج القديم"[56]، وتناول علاقة التناصّ بالنقد، مستفيدًا من مباحث كريستيفا خاصة كتابها

(ثورة اللغة الشعريّة)، ودراسة تينيانوف حول الأدب والنصّ، وهو يبني منظوره التناصّيّ على مزاوجة الإطار العلائقيّ بالمبنى التحويليّ، وهو ما جعله يمايز بين نوعين من التناصّ: التناصّ الصريح (الواضح)، والتناصّ الضعيف، وحاول، من خلالهما، إبراز علاقة النقد بالتناصّ؛ فبيّن أنّ التناصّ قد يكون موجّها للاستعمال الرمزي (مضمون)، كما قد يكون موجّهًا للمحتوى الصوريّ، وذلك عبر تعالقه بنصوصٍ أخرى؛ من خلال التقليد أو المحاكاة الساخرة أو الاستشهاد أو الانتحال أو المونطاج (جمع وتركيب) أو غيرها من الكيفيّات[57].

وقد تناول جيني، أيضًا، أنواع التناصّ، فجعلها في ثلاثة أنواعٍ؛ هي: التلفيظ، والخطية، والإدماج[58]، وعالج، بعد ذلك، صور التناصّ وكيفيّات الاشتغال التي يأتي عليها، فجعلها في ستة أنماطٍ، وكان جيني شديد العناية بالبعد الثقافي؛ الذي تتضمّنه ظاهرة التناصّ، وهو ما برز في عنوان دراسته، كما تناولت الدراسة ما قدّمه جيني من أفكارٍ؛ لتتبّع ظاهرة التناصّ ورصدها في فتراتٍ ومراحل تاريخيّة، وما قدّمه من اقتراحٍ؛ تمثّل في رصد أهم وأبرز ما يمثّل تلك الفترات، من النتاجات التي يمكن التناصّ معها.

4- أمبرتو إيكو والتناصّ

عني إيكو، ضمن اهتماماته بالدراسة النقديّة النصّيّة بالسيناريوهات التناصّيّة اللفظيّة، المتولّدة من الانتخابات السياقيّة والظرفيّة، واستعمل لفظة (مَيْسُوم) للدلالة على ما تحمله المفردة أو العبارة من مخزونٍ دلاليّ، وخلص عبر التمثيل والنماذج إلى أنّه "ما من لفظٍ إلا ويحتاج إلى مناصة، لكي يتفعّل في كلّ إمكانيّات دلالته. بيد أنّ لهذا اللفظ حاجةً إلى مناصة فعليّة، إذ إنّ النصّ الممكن يكون ماثلاً فعليًّا أو

بصورةٍ كامنةٍ، في الطيف الموسوعيّ الذي تعمل على تكوينه الميسومات"[59]، واستعان لبيان فكرته بهذا المخطط[60]:

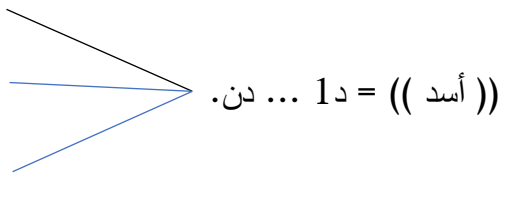

وانطلق من هذا المستوى من الترمّز، القائم على استثارات المعطى اللفظي والتركيبي، في التصور الذهني وما يستحضره من خبرات تناصّيّة وسياقيّة؛ تعين على فعل التدليل، ليقرر؛ مستعيرًا من كريستيفا مصطلح الكفاية التناصّيّة: "أنّ الانتخابات السياقية الآنفة من شأنها أن تعيننا على الدخول إلى نسق الكفاية التناصّيّة (انظر كريستيفا، 1970) الذي يتضح مداه أكثر جلاءً حين يجري الحديث عن السيناريوات والقوالب"[61]، فهو يعدّ التناصّ، بمعناه الذي تعنيه كريستيفا، حالةً متقدّمةً من الترمز؛ وهو ما أوضحه؛ متأثّرًا، أيضًا، بالمنظور التناصّي لدى كريستيفا، بقوله: "إنّ أيّ نصٍّ لا يقرأ بمعزل عن الاختبار الذي يتولد لدى القارئ من مقاربته نصوصًا أخرى (مماثلة أو مختلفة). ذلك أنّ الكفاية التناصّية (انظر بالأخص كريستيفا، 1970) تمثل حالة من الترمز العالي"[62]، لكنّ هذا لم يمنع من أن يعرض في كتابه (السيميائيّة وفلسفة اللغة) لاختلافاتٍ مصطلحيّةٍ مع منهج كريستيفا الرمزي وتأويلها السيميائي[63].

وكما عُني بارت ودريدا وبلوم وجيني بدور القارئ، في إدراك النص والإمساك بتناصّاته، اهتمّ إيكو في تناوله مفهومَ التناصّ بالقارئ بصورةٍ جليّةٍ أيضًا، وفي عنوان كتابه (القارئ في الحكاية) تأشيرٌ واضحٌ على مدى احتفائه بدور القراءة والقارئ، وهو ما برز في ما وقفنا عليه من مقاربةٍ أخرى له لمفهوم التناصّ، كان أطلق عليها مفهوم (النزهات الاستدلاليّة)، و(المشي الاستنباطي/ المشي خارج النص).

5- جيرار جينيت والتناصّ

تتبّعنا انشغال جينيت بالتناصّ، عبر كتابيه: (مدخل لجامع النص) نشر عام 1979 و(أطراس) نشر عام 1983، وفي كتابه الأوّل؛ أرجع موضوع (الشعريّة) إلى الخصائص المتعالية للنصّ؛ وقال: "ليس النصّ هو موضوع الشعريّة، بل جامع النصّ، أي مجموع الخصائص العامّة أو المتعالية التي ينتمي إليها كلّ نصٍّ على حدة، ونذكر من بين هذه الأنواع: أصناف الخطابات، وصيغ التعبير، والأجناس الأدبيّة"[64]، ولكنّنا وجدناه في كتابه (أطراس: الأدب في الدرجة الثانية) يتجاوز هذا الإطار المحدّد، ويطوّر من رؤيته لِـ(الشعريّة) وبرّز هذا التحول بعبارته التي قال فيها: "والأجدر أن أقول اليوم، وبسعةٍ أكبر، بأن هذا الموضوع هو النصّيّة المتعالية Transtextualite، أو التعالي النصي للنصّ، والذي أعرفه مسبقاً، وبطريقةٍ إجماليّةٍ بـِ: (كلّ ما يجعله في علاقةٍ ظاهرةٍ أو ضمنيّةٍ مع نصوصٍ أخرى)"[65].

لقد شكّلت المتعاليات النصّيّة، محور تطوّر رؤية جينيت للشعرية، بتحوّله من حصرها في (جامع النص) إلى فتحها على هذه المتعاليات في (أطراس)، ومثّل ذلك وجهًا بارزًا لاستفادة جينيت من نظريّة التناصّ وتأثّره بها ونجد في مفاهيمه التي قعّد لها داخل متعالياته النصّيّة ما يكفي للاستدلال على هذا التأثّر، وقد ذكر كريستيفا وتأثره بالتناصّ عندها، في بداية تناوله النوع الأول من متعالياته[66].

وجعل جينيت متعالياته النصّيّة في خمسة أنواعٍ هي: التناصّ Intertextualité، والنصّ الموازي Paratexte، والنصّيّة الواصفة (الميتانصّيّة أو النصّيّة البعديّة) Métatextualité، والنصّيّة الجامعة (معماريّة النصّ) L'architexetualité، والنصّيّة المتفرّعة Hypertextualité، والواضح أنّه، وإن أومأ إلى (المبنى التحويليّ)، فإنّ تفريعاته لا تدلّل على أنه يلتزم به تمامًا؛ ولا تعكس

أنه يتقيّد بالإنتاج النصي القائم على الامتصاص والتشرّب بعدِّهما أساسًا للتحويل؛ وهو ما قد يظهر جانبٌ منه في تضييقه مفهوم التناصّ؛ بحصره في نوعٍ من متعالياته؛ ومع ما يبعثه ذلك من تساؤلٍ حول ما إذا كان عمله هذا محاولةً لتحديد الروابط بين النصوص عبر استحضار فكرة الأصل والفرع، أو محاولةً لأخذ موقعٍ وسطٍ بين منظور البنيويّة وما بعد البنيويّة، فإنّ الأكيد هو أنّه قدّم أنموذجًا لِـ(بنيويّةٍ مفتوحةٍ) لا تتقيّد بالنص المغلق بصرامةٍ كالبنيوية، بل تؤمن أيضًا بتعالق النصوص وما يُنتجه من قراءة نصٍّ في نصٍّ، ولذا تمسّك بالمحددات البنيويّة في وصف أنواع النصّيّة المتفرّعة، كما أفاد من الأنماط الوظيفيّة؛ كالتقليد الساخر والمحاكاة التهكّميّة والنقل، وغيرها من أنماط التحول النصّيّ.

بذلك يكون جينيت قد أعاد، في كتابه (أطراس)، قراءة مفهوم التناصّ، وقدّم له نهجًا مغايرًا، وإنّه ليصعب القول إنّ مفهوم التناصّ بعد جينيت بقي كما هو قبله، ونحسب له مبادرته لوضع النظريّة على خطّ الممارسة النقديّة، والتحوّل بها من التفسير النظريّ المجرّد، إلى التقنين والتقعيد، حيث أمكن اتخاذ متعالياته أدواتٍ إجرائيةً عند التطبيق على التناصّ، وفي وصف طرق حضور نصٍّ في نصٍّ.

ومن مدخل تاريخيّة التناصّ، نرى أنّ مقاربة جينيت تمثّل أكثر المحاولات تدليلاً على ما آل إليه مفهوم (التناصّ) من خطورة التلقّي؛ لجهة ما ينطوي عليه المفهوم من شفافيّةٍ واتساعٍ؛ يمكن بهما أخذه إلى ما يوافق رؤية الناقد ومشتهاه؛ أو بعبارةٍ أخرى: لما يتوافر عليه مفهوم (التناصّ) من إمكانيّة تقديمه برؤى ومقاربات مختلفة.

خامسًا: التلقّي العربيّ لنظريّة التناصّ الغربيّة

مهّدت الدراسة لدخول هذا المبحث، بمقاربةِ نقدنا القديم، بهدف الكشفِ عن الكيفيّات التي تناول بها مسألة التعالق النصّيّ أوّلاً، وقد بيّنا بذلك الموقع المكين لنقديّة (السرقات الشعريّة) في خارطة تراثنا النقديّ، وما تميّزت به هذه النقديّة من

خصائص وسمات، وهو ما اهّل الدراسة لدخول هذا المبحث، الذي نستجلي فيه كيفيّات تلقّي النقد العربي المعاصر لنظريّة التناصّ، هذا التلقّي الذي كان واحدًا من أبرز ملامحه، كثرة الاستدعاءات التي وجّهها النقّاد والدارسون للنقد القديم، منذ أن حلّت نظريّة التناصّ بين ظهرانيهم، وكان ما تناولناه حول التناصّ والسرقات، أداةً قرأنا بها قصص وكيفيّات هذا التلقّي، الذي استجلته الدراسة عبر المحاور الآتية.

أ- أبرز المقاربات العربيّة الأولى لنظريّة التناصّ

في مرحلة المقاربات الأولى لنظريّة التناصّ، رصدنا أربعةً من الدارسين، ووقفنا على نتاجاتهم الأولى وآرائهم حول النظريّة؛ هم: محمّد بنيس، ومحمّد مفتاح، وصبري حافظ، وسعيد يقطين، ونتناول في ما يلي جانبًا من هذه النتاجات والآراء.

1- محمّد بنيس

تعدّ دراسة بنيس (ظاهرة الشعر العربيّ المعاصر في المغرب) من أولى المقاربات العربيّة لنظريّة التناصّ، وأفاد فيها بنيس من مفاهيميّة باختين وكذلك كريستيفا التي استند إلى قوانين التناصّ لديها: الاجترار والامتصاص والحوار، وقد قارب التناصّ من منحى تأويلي؛ مستلهمًا مركزيّة النصّ الغائب، وظهر هذا في تعريفه النصّ – مستفيدًا من كريستيفا أيضًا – بأنّه "إعادة كتابةٍ وقراءةٍ لهذه النصوص الأخرى اللامحدودة، يمكن أن تحوّل النصّ إلى صدى أو تغييرٍ أو اجترار"[67]، وجعل للنصّ الشعريّ المغربيّ أربعة مصادر يتناصّها ويسترفدها؛ هي: الذاكرة الشعريّة، والحضارة العربيّة بمختلف وجوهها، ثمّ الحضارة المغربيّة بوجوهها المتعدّدة، والثقافة الأوروبيّة[68]، ورأى، بعد مقاربته النصّ الشعري المغربيّ، أنّ تناصّ الامتصاص كان استيعابًا مهادنًا للنص الغائب، و"أنّ هؤلاء الشعراء، وغيرهم، لم يتمكّنوا من فرض قانون الحوار كأساسٍ لإعادة كتابة النصّ الغائب، ولم يسقطوا كلّيّاً في الاجترار"[69].

2- محمّد مفتاح

وإذا جئنا محمّد مفتاح وجدنا أنّ كتابه (تحليل الخطاب الشعريّ: استراتيجية التناصّ) يأتي، أيضًا، ضمن المقاربات الأولى للنظريّة، ودلّ عنوانه على أنّه يعتمد التناصّ استراتيجيّةً تحليليّةً، وجاءت دراسته في قسمين: نظريٍّ؛ تناول فيه عناصر تحليل الخطاب، وذكر منها التناصّ، وتطبيقيّ: قارب فيه نصًّا لابن عبدون، ورأى مفتاح أنّ "أيّة مدرسةٍ لم تتوفّق إلى الآن في صياغة نظريّة شاملةٍ"[70]، وذكر أنّ هذا دفعه لتأطير منهجٍ تكامليٍّ، ثمّ أخذ يشيد بمنهجه؛ وانتقد بعض الباحثين ادّعاءه تدشينَ منهجيّةٍ تحليليّة ورأى أنّه تفنّن "في لغةٍ برّاقةٍ أن يقدّم لعمله على أنّه جديدٌ في بابه عزيزٌ لا يضن به إلا على غير أهله، ولم تحاول هذه المقدّمة أن تسوق الحجج على وجاهة العمل أو الدفاع عن الأطر المنهجيّة التي استخدمها أو حتى التعريف بها وكأنّ مفتاح منذ البدء يمارس حالةً من سلطة الإقناع على قارئه"[71].

وذهب مفتاح إلى أنّ كريستيفا لم تقدّم تعريفًا جامعًا للتناص، دون أن يستند لشيءٍ ممّا كتبته في هذا الباب، وقد تناولت كريستيفا في كتابها (علم النصّ) حدود مفهومَي النصّ والتناصّ، وجعلت التلازم بينهما عنصرًا جوهريًّا لفهم التناصّ، وهذا الفهم هو ما دفع بصلاح فضل إلى أن يعدّ (علم النصّ) آخر مناهج النقد المعاصر، وعدّ تعريف كريستيفا للنصّ هو أكثرها تمثّلاً للمقاربات النقديّة الخاضعة لهذا المنهج، وقال بعد مقاربة تعريفها: "يلاحظ هنا أنّ مفهوم علم النصّ يستوعب العناصر الداخلة في تشكيل النصّ والمرتبطة بالإطار الخارجيّ المحيط به، بقدر ما تتبدّى فاعليتها في هذا التشكيل، فلا يعنيه الاستطراد الخارجيّ عن السياقات التاريخيّة والاجتماعيّة والنفسيّة، بقدر ما يعنيه الحضور النصّيّ لهذه السياقات وتحليل معطياتاها"[72] وفضل يشير إلى منهجيّة التناصّ التي ضمّنتها كريستيفا مفهوم النصّ لديها، فكان النصّ

والتناصّ عندها وجهين لشيءٍ واحدٍ: يتبادلان تبيين حدودهما معًا، ويعرّف كلّ واحدٍ منهما بالآخر.

3- صبري حافظ

وقد ركّز حافظ، في دراسته (التناصّ وإشاريّات العمل الأدبيّ)، على الكيفيّة الكتابيّة التناصّيّة، وردّد ما انطلقت منه نظريّة التناصّ من انفتاح النصّ، مؤكّدًا أنّ التناصّ "موضوع يثير بالتالي أغلوطة استقلاليّة النصّ الأدبيّ"[73]، وبدا متأثّرًا بحواريّة باختين، ودائرة كريستيفا ولوتمان، كما أفاد من مقالة بارت (من العمل إلى النص)، ووقع في لبسٍ حين رأى أنّ بارت "يستبدل مفهومًا آخر، دون أن يطرح المفهوم المستبدل خارج الساحة كلية"[74]، والواقع أنّ بارت لم يشأ، أن يراوح بين المفهومين كما فهم حافظ، بل أكّد المزايلة المفهوميّة؛ بالتحوّل التامّ من ثبات المعنى إلى لعبة الدال، ومن الاستهلاك إلى الإنتاجيّة، تاكيدًا لفاعليّة التناصّ.

وكان لافتًا ما أشار إليه بعنوان (التناصّ في مفاهيم البديع العربيّ) من أنّ المفاهيم البديعيّة "تتناول بعض الأفكار الهامّة التي يمكن أن تضيف إلى الجهود الرامية إلى تطوير مفهوم التناصّ"[75]، ودعا للتجسير بين مفاهيم علم البديع العربيّ ومفاهيم التناصّ، وهذا يدفع للتساؤل عن مدى اطّلاع النقد الغربيّ على المنجز العربيّ والإفادة منه، وهو إحدى إشكاليّات التلقّي التي نعنيها، في سياق مرحليّةَ نشأة التناصّ الفكريّة ومبتنياتها المعرفيّة، ونحن إذ نقدّر لحافظ فكرته، فإنّنا نشير إلى ما قد يكون اضطرّ إليه من توليد أجنّةٍ نقديّة عربيّةٍ على أيدي قابلاتٍ أجنبيةٍّ، سعيًا لردم الهوّة بين القديم العربيّ والمنتَج الحداثيّ الغربيّ، وهو ما قد يكون أخذه لمساحةٍ من التأويل الاصطلاحيّ.

وقد اعترض بعض الباحثين على مقايسة حافظ؛ لأنّ "العلاقات بين النصوص في التصوّرات النقديّة والبلاغيّة القديمة علاقاتٌ واضحةٌ ومحدّدةٌ وتشير إلى ردّ كلّ مصنوعٍ إلى صانعه، ولم تتجاوز هذه االفكرة إلى فكرة تحويل الأنظمة أو الانساق العلاماتيّة إلى أنظمةٍ أو أنساقٍ علاماتيّةٍ جديدةٍ"[76]، ومع توافقنا مع طرح بيومي، فإنّ ما نراه هو أنّ الولوج إلى تراثنا النقديّ، من بوابة التطوير أوقع في درسنا النقديّ المعاصر، من ولوجه من بوابة جعل السرقات عِدلاً للتناصّ، كما أنّ حافظ لم يقل بمطابقة المفاهيميّة القديمة لمفهوم التناصّ، بل رأى "أنّها تتناول بعض الأفكار الهامّة التي يمكن أن تضيف إلى الجهود الرامية إلى تطوير مفهوم التناصّ على الصعيد النظريّ"[77].

ب- أبرز إشكاليّات التلقّي العربيّ: الموازنة بين التناصّ والسرقات

أضحت الموازنة بين نظريّة التناصّ ومسألة السرقات الشعريّة أبرز الإشكاليّات التي انبعثت مع دخول نظريّة التناصّ مباحث النقديّة العربية، وقد عنيت الدراسة بتناول هذه الإشكاليّة، وذلك لموقعها الجوهريّ من المقاربة العربيّة لنظريّة التناصّ، ولكثافة النتاج حولها، حيث ذهب جانب من الباحثين والدارسين العرب إلى الموازاة بين نظريّة التناصّ وبين السرقات الشعريّة، وشكّلوا فريقًا معتدًّا به داخل النقديّة العربيّة، وفيما يلي نقارب هذا الفريق؛ ونتناول أبرز آرائهم حول المسألة.

1- عبد العزيز حمودة

يقول حمودة في كتابه (المرايا المقعّرة): "دراسة السرقات الأدبيّة، كأشياء أخرى في الدراسة الحاليّة، ليست هدفًا في حدّ ذاتها، لكنّها مدخلٌ آخر نؤسّس عن طريقه لشرعيّة المدرسة الأدبيّة العربيّة"[78]؛ فهو يصرّح بأنّه اتخذ قرارًا بالصدّ عن دراسة السرقات الأدبيّة، لكنّه، في الوقت نفسه، جعل من هذه السرقات الأساس لما سيحكم به!، وبالفعل قرّر حكمه قائلاً: "في هذا نقول إنّ السرقات الأدبيّة التي انشغل بها

البلاغيون انشغالاً كبيراً لمدة قرنين على الأقل، هي البداية الحقيقيّة للمفهوم ما بعد الحداثيّ والمصطلح النقديّ الباهر الذي استخدم للدلالة عليه وهو التناصّ"[79]، وقد أشّرت الدراسة على أنّ هذا النوع من المقاربة والأحكام يمثّل إحدى إشكاليّات التلقّي، ويثير تساؤلاتٍ؛ حول جدوى مثل هذه الأحكام، إن لم تقدّم تسويغًا، وإن لم تَقُم على تدليلٍ مقبول.

وقد احتجّ حمودة لعدم دراسته السرقات؛ بقوله: "إنّ غيرنا من دارسي البلاغة العربيّة قد فعلوا ذلك باقتدار لا نظنّ أنّنا قادرون على الإضافة إليه"![80]، فهو يُصدر حكمًا على أمرٍ اعترف بترك مقدّماته، وحين جاء ليوازي التناصّ بالسرقات، قدّم شاهدًا يبطل دعواه، فأشار في سياق ما أطلق عليه (اجتياح النص)، إلى "أنّ ما توصّل إليه البلاغيّون العرب، بعد قرنين كاملين من الجدل والجدل المضاد، من تعريفٍ للسرقة الأدبيّة، ولما يمكن اعتباره سرقةً وما لا يمكن اعتباره كذلك، والقواعد التي تحكم هذا وذاك، يعتبر تقنينًا كاملاً، وتنظيرًا أدبيًّا يحكم عمليّات التأثير والتاثّر ويحمي النصّ في نهاية الأمر، من فوضى (اجتياح حدود النصّ) التي جاء بها مفهوم التناصّ. وتلك بالقطع نقطةٌ تُحمد للنظريّة الأدبيّة العربيّة"[81].

فهو بواضح العبارة؛ يبيّن أنّ السرقات إنّما قامت على الدعوة لحفظ انتساب النصّ، وإحكام حدوده، وأنّ هذا على خلاف نظريّة التناصّ؛ التي أسّست لانفتاح النصّ ورفض التسييج، وما دام هذا الفارق قائمًا بين السرقات والتناص، إلى حدٍّ وجدنا فيه بارت يذهب إلى القول بموت المؤلف، وإنهاء ملكيّة النصّ، فكيف يوازي حمّودة بين السرقات والتناصّ، بعد إقراره بهذا الفارق الجوهري بينهما؟!.

2- عبد الملك مرتاض

وقفت الدراسة على مقاربة مرتاض لنظريّة التناصّ؛ عبر مقاله (فكرة السرقات الأدبيّة ونظريّة التناصّ) وكتابه (نظريّة النصّ الأدبيّ)، وقد جعل هدف مقاربته في معالجة قضيّتين "أولاهما فكرة السرقات الأدبيّة في التراث العربيّ وموقف النقّاد القدامى منها، وتجادلهم حولها. وثانيتهما: نظريّة التناصّ التي هي وليدة التفكير السيميائيّ ومحاولة ربطها بفكرة السرقات"[82] ثمّ ذكر باعثًا نفسيًّا، ألغى به هدفه المنهجيّ؛ وهو قوله: "اندفعنا إلى النقد العربيّ القديم نحاول أن نستنبط منه بعض الملاحظات والأحكام والأفكار غيرةً منا على هذا النقد"[83].

وقد ظهر أثر هذا التداخل بين الهدفين، فوجدناه، في مواضع، يحمل على نقديّة السرقات ويجرّد الحكم بها عن الموضوعيّة، ولا يقبل بها نظريّةً نقديّةً، حتّى قال: "مصطلح السرقات يجني على التناصّيّة (وقد كنّا رفضنا مصطلح السرقة ورأينا أنّه ذو نزعةٍ أخلاقيّةٍ لا علاقة له بالتفاعل الطبيعي بين النصوص والنصّاصين)"[84] فهو يقدّم الرؤية التناصّيّة على السرقات، ويرى في الموازاة بينهما جنايةً على التناصّ، حتّى أنّه نبذ مفهوم السرقة، لكنّه، في مواضع أخرى، بدا مرتاحًا للمفهوم ووازى بينه وبين التناص، كقوله: "إنّ التناصّيّة، كما يبرهن على ذلك اشتقاق المصطلح نفسه، هو تبادل التأثر والعلاقات بين نصٍّ أدبيٍّ ما، ونصوصٍ أدبيّةٍ أخراة. وهذه الفكرة كان الفكر النقديّ العربيّ عرفها معرفةً معمّقةً تحت شكل السرقات الشعريّة"[85]، وعلى هذا النحو جاءت المقاطع؛ ممازِجةً بين الحطّ من السرقات وتسفيهها بلا هوادة، وبين إعلائها وموازاتها بالتناص، وبهذا دخلت المقاربة في لبسٍ وخلطٍ شديدٍ، وصار خيط المبحث يتماوج، ولا يكاد يبين مساره: أكان يهدف إلى استنقاص قدر السرقات، أم إلى موازاتها بالتناصّ تعليةً لشأنها، أم حطًّا من الاثنين: التناصّ والسرقات، في آنٍ معًا؟!.

وقد بدا هذا التذبذب في الرأي واضحًا، حين قال، بعد أن فرغ من الحكم بأنّ التناصّ مدرَكٌ كلّه من قِبل جلّ نقّادنا القدامى، إنْ لم يكن كلّهم: "ويخيّل إلينا أنّ قدماء النقّاد العرب ظلوا يحومون حول هذا المفهوم –الذي هو التناصّ– ولكنّهم لم يتعمّقوا في بحثه، فلم يستطيعوا، نتيجةً لذلك، مجاوزة المصطلح التهجينيّ الذي وضعوه أوّل الأمر، إلى مصطلحٍ أدبيٍّ أدقّ وأشمل وأدلّ"!(86)، وهذه العبارة، لو تم الاستهداء بها، لوضعت المقاربة على خطّ تطوير المبحث النقديّ؛ بدل المناكفة التي عازها الدليل، ولتجافى مرتاض عن هذا التناقض والتقلّب في الرأي، الذي صار به موضع عتابٍ "على مغالاته بإرجاع أشكال نظريّة التناصّ كلّها إما إلى الاقتباس وإما إلى السرقة"(87).

وانعكس هذا التناقض على خاتمة المقاربة التي قال فيها: "بعد أن كان العرب يبحثون في السرقات الأدبيّة في نصوص الشعراء، لمحاولة معرفة مصادر أفكارهم ومخزون ألفاظهم أمسى أهل الغرب يتحدّثون عن حواريّة النصوص، ولكنّهم لا يكادون يتحدّثون إلا عن نصوصٍ معيّنةٍ، فانقلب مفهوم التناصّ المفتوح في أصله، إلى مفهومٍ مغلقٍ"(88)، فهو ينسب البحث عن الأصول لنقديّة السرقات، غير متنبّهٍ لتلك النقاشات، حول أنّ التناصّ أمرٌ يفرق عن البحث عن الأصول والمصادر، فأثبت عكس ما أراده من أنّ السرقات هي عينها التناصّ، كما بدا غير ملتفتٍ إلى دلالة التضييق، التي ينطوي عليها حصر السرقات في كشف الأصول، فوصَم التناصّ بالتضييق وعابه به!، وقد نسف مبحثه؛ حين قابل الرؤية النقديّة العربيّة القديمة؛ المبنية على (السرقات) بالمبحث التناصّي الغربيّ المبني على (حواريّة النصوص).

ج- نقد موازاة فكرة السرقات بنظريّة التناصّ

ممّا تقدّم؛ يظهر أنّ موازاة فكرة السرقات الشعريّة بنظريّة التناصّ رأيٌ فيه تبسّط كثيرٌ، لعدم تقديم ما يُقنع من الأدلّة، وقد وقف في وجه هذا الرأي كثيرون، فرأى محمّد مفتاح أنّ هذا الرأي ناتجٌ عن سوء فهمٍ، وانتقد أصحابه، لربطهم مفهومًا حداثيًّا بزغ في ظرفٍ تاريخيٍّ محدّدٍ، بمفاهيم كانت صنيعة تصوّرات عصورٍ غابرةٍ؛ ورأى أنّ "هؤلاء لم يأخذوا في حسبانهم السياق المركّب الذي أشرنا إليه، فقاسوا بصوريّةٍ مفرطةٍ. التناصّ، لدى المدرسة الفرنسيّة، هدم لمفهوم الانسجام وتفكيك لتصور المركزيّة الأوروبيّة، ورفض للسلطة القمعيّة، ودحض لمفهوم الحياد، وتمرّد على الغيبيات والقيم .. في حين أن المسمّيات العربيّة تدلّ على التبجيل أو التحقير أو على اللذة والمتعة"[89]، وقد أبرز سعيد يقطين موقفه من المقارنة بين التناصّ والسرقات؛ فقال: "لا نريد ونحن نحاول تناول آراء العرب القدامى حول علاقات النصوص ببعضها، أن نقول إن (التناصّ) موجودٌ في تراثنا، وإنّ العرب سبقوا الغربيين إليه"[90]، وهذا المسلك الذي سلكه يقطين، نجده عند كثيرٍ من الباحثين؛ الذين سعوا، أيضًا، لجبّ التهمة، عن أن يصمهم أحدٌ، بالمداخلة بين مفاهيم التراث ومفاهيم نظريّاتٍ حداثيّةٍ مغايرة؛ حتى قال أحدهم: "لم يكن في نيّتي إلباس التراث بمفاهيم وتصوراتٍ مناقضةٍ لطبيعته التي وصلنا بها، أو معارضته لثناياه الداخليّة"[91].

كما رفض جابر عصفور مساواة التناصّ بالسرقات، وقد أشار مرتاض إلى ما لقيه رأيه من معارضاتٍ، ومنها محادثةٌ جرت بينه وبين عصفور؛ اعترض فيها على ما طرحه من أفكارٍ، وذكر "أنّ الصديق جابر عصفور ناقشنا بعد إلقاء البحث، من بين مناقشين آخرين، فزعم أنّ السرقات الشعريّة لا ينبغي أن تكون لها علاقة بنظريّة التناصّ. وقد قدّم هذا الفاضل طائفةً من الاعتراضات تحاول كلّها إبعاد السرقات الشعريّة المعروفة في النقد العربيّ من مجال التناصّيّة. ويبدو أنّ جابر عصفور كان

يريد أن يجرّد النقد العربيّ القديم من أهمّ ما فيه، أو من بعض ما فيه على الأقلّ، وذلك حين نفى، على سبيل القطع، أن يكون هذا النقد تناول مسألة الأقدمين"[92].

وقد شبّه عصفور المهووسين بالارتداد للماضي عند كلّ معضلةٍ فكريّةٍ، بالباحثين عن ملاذٍ من جحيم حاضرٍ لا يحتملونه، وفسّر ذلك تفسيرًا نفسيًّا؛ أطلق عليه (وظيفة التعويض)؛ ويرى أنّ هناك أوهامًا تحرّك هؤلاء؛ "وأوّل هذه الأوهام أنّنا نقارب التراث لا مقابلة المواجهة المتكافئة الطرفين، بل مقابلة اللائذ بأصلٍ يحتمي به، ويفرّ إليه من عجز الحاضر وهوانه"[93]، ومن أوضح عبارات عصفور، الكاشفة عمّا يقترحه من منهجيّةٍ لقراءة القديم، هو ما ذهب إليه من أنّ "القديم بعض خبرة النوع الإنسانيّ التي تقبل احتمالات الزيادة والتطور، أو التغيّر والتحوّل. كما تصبح هذه الخبرة، لو استخدمنا عبارات فيلسوف مثل الكنديّ، حلقةً من حلقات تتميم النوع الإنسانيً وحريٌّ بنا، إذا كنّا حراصًا على تتميم نوعنا، إذ الحقّ في ذلك، فيما يقول الكنديّ، أنْ نبدأ ممّا قاله القدماء، لا على سبيل تكراره، باعتباره الأكمل والأنقى، بل على سبيل (تتميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً، على مجرى عادة اللسان وسنّة الزمان)"[94]، فهو يقدّم منهجيّةً تؤكّد العقل ولا تُلغي الاختيار، وتمنح مجالاً لاحتمالات الصواب والخطأ في القديم، وتحقّق للتراث؛ التكميل فالتطوير، بدل الثبات والتسليم.

ومن بين الآراء الكثيرة المعارضة لفكرة الموازاة، يصادفنا موقف كيليطو؛ الذي مايز السرقات عن التناصّ؛ ورأى أنّ فلسفة فكرة السرقات هي الذود عن أن يُنسب حقٌّ لغير صاحبه، أو أن يدّعي مدّعٍ غير ما له بوجه حقٍ، فهي "مبنيّة على البحث عن أوّل من افتضّ المعاني الشعريّة، ثمّ عن سلسلة الأولاد الذين أنجبتهم هذه المعاني"[95]؛ وهذا يقف على طرفٍ نقيضٍ مع فلسفة التناصّ.

سادسًا: أبرز النتائج والتوصيات

خلصت الدراسة إلى نتائج وتوصيات، نوجز أبرزها في النقاط الآتية:

– كشفت الدراسة، من خلال تتبّعها نظريّة التناصّ وأطرها النظريّة، أنّ إنتاج النصّ عبر اللغة مسألةٌ معقّدةٌ؛ تتجاوز التبسيط وتُعارض الثبات، وتجلّى (التناصّ) آليّةً لكشف علاقة النصّ بالدلالة، وأنموذجًا بارزًا لطرائق التأويل، بمساراتٍ مفتوحةٍ: اجتماعيًّا وثقافيّا وتاريخيًّا؛ وذلك عبر تركيز فكرة إحالة النصّ على نصوصٍ أخرى، لا اقتباسًا منها شرطًا، بل على نحوٍ من التفاعل والتنافي؛ أي: بتواتر الاختراقات داخل الممارسات الدلاليّة، وبما يتجاوز النتاج الأدبيّ: شعرًا ونثرًا؛ ليشمل مختلف الأجناس الأدبيّة، والفنون الإبداعيّة.

– تعدّدت اتّجاهات التلقّي الغربيّ لنظريّة التناصّ الكريستيفيّة ودائرتها المفاهيميّة، وتفاوتت ارتداداتها بين النقّاد الغربيّين، الذين قاربوا النظريّة من زوايا متعدّدةٍ، وأسهم كبار هؤلاء النقّاد والمنظّرين، من أمثال بارت وجيني وإيكو وجينيت، في إدخال التبديل والتحوير والتطوير والإضافة على النظريّة الأمّ، وبهذا انبثقت عن نظريّة التناصّ الأولى التي قدّمتها كريستيفا اتجاهات نقديّة متفرعة، وذلك يُبرز مقدار ما أثارته النظريّة على مدى ما يربو على ستّة عقودٍ من سجالٍ مستفيضٍ، حتّى عُدّت مبعثًا للاضطراب في كلّ الاتجاهات النقديّة والمعرفيّة، إلى جانب ما أحرزته من موقعٍ مكينٍ بين أدوات النقد في الدراسات النصّيّة الحديثة، داخل النقديّة الغربية قبل وصولها إلينا.

– حفل نقدنا القديم بمسألة العلاقة بين النصوص، وكانت له مباحث بالغة الأهميّة؛ تنمّ عن اقتدارٍ، لكنّه افتقر للرؤية التفسيريّة الجامعة، واتّسمت مقارباته وأحكامه بالجزئيّة والشتات والانطباعيّة الذاتيّة، ممّا جعل كلّ حادثةٍ نقديّة حالاً مبتورةً، حتّى إذا

حاولنا استخلاص أمرٍ كلّيٍّ وحكمٍ جامعٍ؛ نفسّر به الحال الإبداعيّة، عازتنا الحيلة، وكان لطبيعة الأداة النقديّة دور في ذلك، وهو ما تكشّف في نقديّة السرقات.

– عُنيت الدراسة بتتبّع روافد كلٍّ من (السرقات الشعريّة) و(نظريّة التناصّ)، وتبيّن أنّ هناك بونًا شاسعًا؛ في المنطلقات المعرفية والبواعث التي تقف وراء كلّ منهما؛ حيث استخلصت الدراسة أنّ أبرز بواعث السرقات الشعرية في النقديّة العربية هي: طبيعة التفسير الغالب لعمليّة الإبداع الشعريّ، والعناية بمقياس الزمن، وإعلاء القديم على المحدَث، ودور النخب واستشهادهم بالشعر القديم دون غيره، وفكرة احتذاء النماذج، واعتماد المشافهة والرواية في حفظ الشعر وتناقله، في حين تمثّلت الروافد المعرفيّة لنظريّة التناصّ في: الرافد اللسانيّ، ولاسيما السوسيري، والرافد الاجتماعي الباختيني، ثمّ الرافد النفسي خاصّةً اللاكاني، والرافد الفلسفيّ، ولاسيما المنهج الجدلي لدى هيجل.

– ضمن تتتبّع التلقّي العربيّ لنظريّة التناصّ،كشفت الدراسة عن أربع إشكاليّاتٍ؛ نتجت عن هذا التلقّي، وأضحت أشبه بالأيقونات داخل الدراسات العربيّة، لما مثّلته من تمظهراتٍ إشكاليّةٍ لمسائل شبه ثابتة؛ ضمن أطر ومباحث هذه الدراسات؛ وهي:

– المصطلح: الدلالة المعجميّة وتعديد التعريب والمداخلة.

– قوانين وكيفيّات اشتغال التناصّ.

– إشكاليّة المقاربة الإجرائيّة والتطبيق على النظريّة.

– بين نظريّة التناصّ ونقديّة السرقات في الدراسات العربيّة.

– على عكس ما أسّست له نظريّة التناصّ؛ من تفسير عمليّة الإبداع عبر التقعيد الفنّي والجماليّ للتعالق النصّيّ، نجد أنّ نقديّة السرقات ألقت بظلالٍ ثقيلةٍ على النتاج الشعريّ العربيّ؛ بما رشح عنها من أنّه ركامُ سرقاتٍ، وهذا قصّر المسافة أمام

المغرضين؛ ممّن يريدون النيل من مكانة الشعراء العرب ونتاجهم، فصاروا يتخيّرون من تراثنا – الذي عكّرت صفوه نقديّة السرقات – ما يستعينون به عليه.

– غلب على المقاربة العربيّة لنظريّة التناصّ انشغالها بهوامش جانبيّة حول النظريّة؛كالخلاف حول تعريب المفهوم، وسعي الباحثين للتفرّد باجتراح المصطلحات والمناكفة في قبول النظريّة، وغلب على الدراسات الأولى كثرة إفاداتها من النتاج الغربي حول النظريّة، سواء عند كريستيفا أم من لحقها من النقّاد الغربيين، وغلب على كثير من الدراسات بعدها المناقلة فيما بينها، والدوران في نفس المباحث.

– كشفت الدراسة أنّ عددًا معتدًّا به، من الدراسين العرب، مالوا بكلّ جهدهم، وهم يقاربون نظريّة التناصّ، نحو المغالبة والمناكفة، لا لشيءٍ، سوى إثبات أنّ لنظرية التناصّ صورةً في تراثنا النقدي، هي السرقات الشعريّة، وكشفت الدراسة عمّا وقع فيه كثيرٌ منهم، من تناقضٍ وخلطٍ مفاهيميٍّ وعدم تسويغٍ؛ وزاد الطين بِلّةً ما ظهر على جانبٍ من مباحثهم، من التنصّل من الاطلاع على النظريّة، والاكتفاء بمعرفة عناوينها على نحوٍ إجماليّ، ثم انخراط غير قليلٍ منهم في نقدها، وضاعت هذه الجهود؛ فلا هي وُضِعَت على خطّ تطوير النظريّة ولا قدّمت ما ينفع لتدشين نظريّةٍ نقديّةٍ عربيّةٍ، وفات هؤلاء أنّ العناية بالتراث لا يعني إغماض العين عمّا قد ينفع من رؤى ونظريّات أخرى.

– ضمن إشكاليّات التلقي التي عنيت الدراسة بالوقوف عليها، تمّ التأشير على إشكاليّة المقاربة الغربية للأطر النقديّة العربية القديمة؛ وما يكتنف هذه المسألة من غموض، نتيجة عدم العثور على ما يكفي من الشواهد للتدليل على اطّلاع أصحاب نظريّة التناصّ على الأطر العربية النقديّة القديمة أو نفي اطلاعهم عليها، وتأخذ هذه الإشكاليّة موقعها، ضمن أحد منطلقات الدراسة، القائم على ضرورة الاتصال بين

نتاجات الفكر النقديّ العالميّ، بما يقود لتلاقح العقول والنتاجات؛ ويقلّل الجهد ويقود إلى نتائج أسرع وأكثر متانةً وقوةً.

– الضرورة الملحّة للعناية بنشر النتاج النقدي العربي ورفد النتاج العالمي به، ومؤشّر ذلك هو أنْ يصل مستوى ما نترجمه من نتاجنا للغات الأخرى، إلى مستوى ما نقوم بتعريبه من نتاجهم، ويفوقه، مع اتخاذ الوسائل الممكنة كافّة؛ لضمان نشره، ولاسيما بين الدوائر البحثيّة والأكاديميّة، وذلك لهدفٍ نتغاياه؛ هو (تركيز حضور النتاج النقديّ العربيّ، ضمن المرتكزات الأساسيّة للنظريّة النقديّة العالميّة).

– ضرورة التنبّه للتاثيرات السلبية الناتجة عن عدم الفصل بين هدفين يلزمنا تحقيقهما: أولهما الاعتزاز بالتراث النقدي والسعي لإشهاره، وثانيهما الإفادة من النتاج النقديّ العالميّ، فليس ممّا يختلف فيه عاقلان أنّ الإفادة من هذا النتاج لا يعني بالضرورة انتقاصًا من التراث، كما أنّ المتدرّعين بمناكفة كلّ محدثٍ هم ليسوا حماةً للتراث ضربة لازب، بل إنّهم كثيرًا ما قطعوا عليه مسار تطوّره بدعوى التقيّد به.

المراجــع

1- عوض، يوسف. (1994)، نظريّة النقد الأدبي الحديث، القاهرة: دار الأمين، ص ص 118-119.

2 - عبد الملك مرتاض. (2010). نظريّة النص الأدبي، الجزائر: دار هومة، ص193، عبد العزيز حمودة. (2001). المرايا المقعّرة، الكويت: مطابع الوطن، ص445، الحوقاني، عيسى بن سعيد. (2012)، التناصّ في شعر نزار قبّاني، مسقط، ص39.

3- كالر، جوناثان. (2004). *النظريّة الأدبيّة*، ترجمة رشاد عبد القادر، دمشق: وزارة الثقافة، ص ص 10-12.

4- كريستيفا، جوليا. (1997). *علم النص*، ترجمة فريد زاهي، المغرب: دار توبقال للنشر، ص 16.

5- سلدن، رامان. (2006). *من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيويّة*، ترجمة أمل قارئ وآخرين، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص 17.

6- أنجينو، مارك. (1998). التناصّيّة، في كتاب *دراسات في النص والتناصّيّة*، ترجمة محمد خير البقاعي، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ص 59، ص 61.

7- Lane, Richard J. (2006). *Fifty Key Literary Theorists*, New York: Routledge, pp. 187-192.

8- أنجينو، مارك. مرجع *سابق*، ص 63.

9- *المرجع نفسه*، ص 64.

10- *المرجع نفسه*، ص 58.

11- كريستيفا، جوليا. مرجع *سابق*، ص17.

12- *المرجع نفسه*، ص 16.

13- *المرجع نفسه*، ص 20.
14- *المرجع نفسه*، ص 17.
15- *المرجع نفسه*، ص 8.
16- *المرجع نفسه*، ص 17.
17- *المرجع نفسه*، ص 18.
18- كريستيفا، جوليا. (2002، خريف). اللغة ذلك المجهول، ترجمة محمد التحريشي، *مجلة ثقافات*، ص 215.
19- أريفية، ميشال. (2009). *البحث عن فرديناند دو سوسير*، ترجمة محمد خير البقاعي، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 38.
20- *المرجع نفسه*، ص 8.
21- كريستيفا، جوليا. *علم النص*، ص 78.
22- *المرجع نفسه*، ص 94.
23- دي سوسير، فردينان. (1985). *علم اللغة العام*، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد: دار آفاق عربية، ص ص 34-35.
24- *المرجع نفسه*، ص 34.
25- باختين، ميخائيل. (1986). *شعريّة دوستويفسكي*، ترجمة جميل نصيف التكريتي، المغرب: دار توبقال للنشر، ص 124.
26- تودوروف، تزفيتان. (1996). *ميخائيل باختين المبدأ الحواري*، ترجمة فخري صالح، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 175.
27- باختين، ميخايل. (2015). *أعمال فرانسوا رابليه والثقافة الشعبيّة*، ترجمة شكير نصر الدين، بيروت: منشورات الجمل، ص 604.
28- باختين، ميخائيل. *شعريّة دوستويفسكي*، ص 53.
29- *المرجع نفسه*، ص 62.
30- Bakhtin, Mikhail. (1982). *The Dialogic Imagination four essays* , Austin: University of Texas Press, p. 91.

31- كريستيفا، جوليا. *علم النصّ*، ص 21.

32- *المرجع نفسه*، ص 21.

33- تودوروف، تزفيتان. *مرجع سابق*، ص 121.

34- فرويد، سيغموند. (1994). *حياتي والتحليل النفسيّ*، ترجمة مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، الإسكندرية: دار المعارف، ص 97.

35- يبني فرويد الجهاز النفسيّ للشخصية على ثلاثة أنظمة: الهو، والأنا، والأنا الأعلى، فالأنا (العقل والواقع) يعمل على بلوغ الشخصيّة حالة الاستقرار، بالتوفيق بين الهو (الغرائز والرغبات: حالة الإغواء الشيطاني) وبين الأنا العليا (الضمير والأخلاق: الحالة المثالية الملائكية)، ويقسّم (الهو) قسمين، فطري يمثّل الوعي ويتضمن الغرائز الموروثة، ومكتسب، ويمثّل (اللاوعي) وهو منطقة كبت الغرائز والرغبات التي منعها الأنا من الظهور، ويرى أنها تظهر عبرالأحلام، أو عبر الإبداع؛ كما في الحالة الأدبيّة.

36- فرويد، سيغموند. *مرجع سابق*، ص ص 97-98.

37- در، جويل. (2015). *المنهج الإكلينيكي عند لاكان*، ترجمة محمد خطاب ومروة سلامة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص 3 – 4، ص ص 152 – 153.

38- بوبي، مالكولم. (1999). *لاكان والأدب*، صمن كتاب: جاك لاكان وإغواء التحليل النفسيّ، إعداد وترجمة عبد المقصود عبد الكريم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص 207.

39- *المرجع نفسه*، ص 187.

40- سلفرمان، هيو ج. (2002). *نصّيّات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكيّة*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص 255.

41- ليشته، جون. (2008). *خمسون مفكّرًا أساسيًا معاصرًا من البنيويّة إلى ما بعد الحداثة*، نرجمة فاتن البستاني، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 297.

42- *المرجع نفسه*، ص 296.

43- *المرجع نفسه*، ص ص 291-292.

44- Alfaro, Maria Jesus Martinez. (1996). Intertextuality: Origins and Development of The Concept, *Atlantis*, Vol. 18, p. 269.

45- كريستيفا، جوليا. *علم النص*، ص 18.
46- *المرجع نفسه*، ص ص 17-18.
47- *المرجع نفسه*، ص 73.
48- *المرجع نفسه*، ص ص 38-39.
49- سُمفيل، ليون. (1998). التناصّيّة، في كتاب *دراسات في النص والتناصّية*، ص 93.
50- بارت، رولان. نظريّة النص، في *المرجع نفسه*، ص 23. وذكر البقاعي في صدر ترجمته هذا النص أنّ هذا النص يشغل الصفحات 1013-1017 من المجلد الخامس عشر من الموسوعة العالمية "Universalis Encyclopedie".
51- *المرجع نفسه*، ص 38.
52- أفلاطون. (2000). *محاورة فايدروس أو عن الجمال*، ترجمة أميرة حلمي مطر، القاهرة: دار غريب، ص ص 110-111.
53- دريدا، جاك. (1972). *صيدلية أفلاطون*، تونس: دار الجنوب للنشر، ص 72.
54- دريدا، جاك. (2006). *أطياف ماركس*، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ص ص 315-316.
55- دريدا، جاك. (1985). الاستنطاق والتفكيك؛ *مجلة الكرمل*، ع 17، ص58.
56- جيني، لوران. (2015). *استراتيجية الشكل: نظريّة التناصّ في الثقافة العالمية*، ترجمة نور الدين محقق، دمشق: دال للنشروالتوزيع، ص 22.
57- *المرجع نفسه*، ص 21.
58- *المرجع نفسه*، ص ص 71 -77.
59- إيكو، أمبرتو. (1996). *القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي ص 21.
60- *المرجع نفسه*، ص 20.
61- *المرجع نفسه*، ص 98.
62- *المرجع نفسه*، ص 102..

63- إيكو، أمبرتو. (2005). *السيميائية وفلسفة اللغة*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص 327-328، ص 345.

64- جينيت، جيرار. (1985). *مدخل لجامع النص*، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامّة، ص 5.

65- جينيت، جيرار. (1972). من التناصّ إلى الأطراس، *مجلة علامات*، ج 25، م 7، ص 179.

66- *المرجع نفسه*، ص 179.

67- بنيس، محمّد. (2014). *ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية*، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص 268.

68- *المرجع نفسه*، ص ص 270 - 2278.

69- *المرجع نفسه*، ص 298.

70- مفتاح، محمّد. (1992). *تحليل الخطاب الشعريّ (استراتيجية التناصّ)*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص7.

71- عبد السلام، مصطفى بيومي. (2018). *التناصّ النظريّة والممارسة*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 130.

72- صلاح، فضل. (2002). *مناهج النقد المعاصر*، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ص 163.

73- حافظ، صبري. (1986). التناصّ وإشاريات العمل الأدبي، *مجلة عيون المقالات*، ع 2، ص 82.

74- *المرجع نفسه*، ص 82.

75- *المرجع نفسه*، ص 100.

76- عبد السلام، مصطفى بيومي. *مرجع سابق*، ص 119.

77- حافظ، صبري. *مرجع سابق*، ص 100.

78- حمودة، عبد العزيز. (2001). *المرايا المقعّرة*، الكويت: مطابع الوطن، ص 445.

79- *المرجع نفسه*، ص 445.

80- *المرجع نفسه*، ص 445.

81- *المرجع نفسه*، ص ص 445-446.

82- مرتاض، عبد الملك. (1991). فكرة السرقات الأدبية ونظريّة التناصّ، *مجلة علامات*، ع1، ص 72.

83- *المرجع نفسه*، ص 88.

84- *المرجع نفسه*، ص 90.

85- *المرجع نفسه*، ص 91.

86- مرتاض، عبد الملك. (2010). *نظريّة النص الأدبي*، الجزائر: دار هومة، ص 200.

87- جمعة، حسين. (2011). *المسبار في النقد الأدبي*، دمشق: دار مؤسسة رسلان، ص 155.

88- مرتاض، عبد الملك. *نظريّة النص الأدبي*، ص 294.

89- مفتاح، محمد. (2010). *مفاهيم موسعة لنظريّة شعرية*، ج.2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص 302.

90- يقطين، سعيد. (1992). *"الرواية والتراث السردي"*، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 12.

91- صدقة، إبراهيم. (2010). *النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي حتّى نهاية القرن الخامس الهجري*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص 420 – 421.

92- مرتاض، عبد الملك. *نظريّة النص الأدبي*، ص 194.

93- عصفور، جابر. (1994). *هوامش على دفتر التنوير*، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص 19.

94- عصفور، جابر. (1994). *قراءة التراث النقدي*، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص 133.

95- كيليطو، عبد الفتاح. (1988). *الحكاية والتأويل: دراسات في السرد العربيّ*، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص ص 15-16.

AIN SHAMS UNIVERSITY

AIN SHAMS UNIVERSITY
MIDDLE EAST RESEARCH CENTER
مركز بحوث الشرق الأوسط
MERC

Middle East Research Journal

Refereed Scientific Journal
(Accredited) Monthly

Vol. 94
December 2023

Issued by
Middle East
Research Center

Forty-ninth Year
Founded in 1974

Issn: 2536 - 9504
Online Issn: 2735 - 5233